مسلك الثقات

في نصوص الصفات

تأليف

خاتمة المتأخرين العلامة

الشيخ أبي بكر بن محمد الملا الأحسائي

رحمه الله تعالى

راجعه وقدم له الشيخ

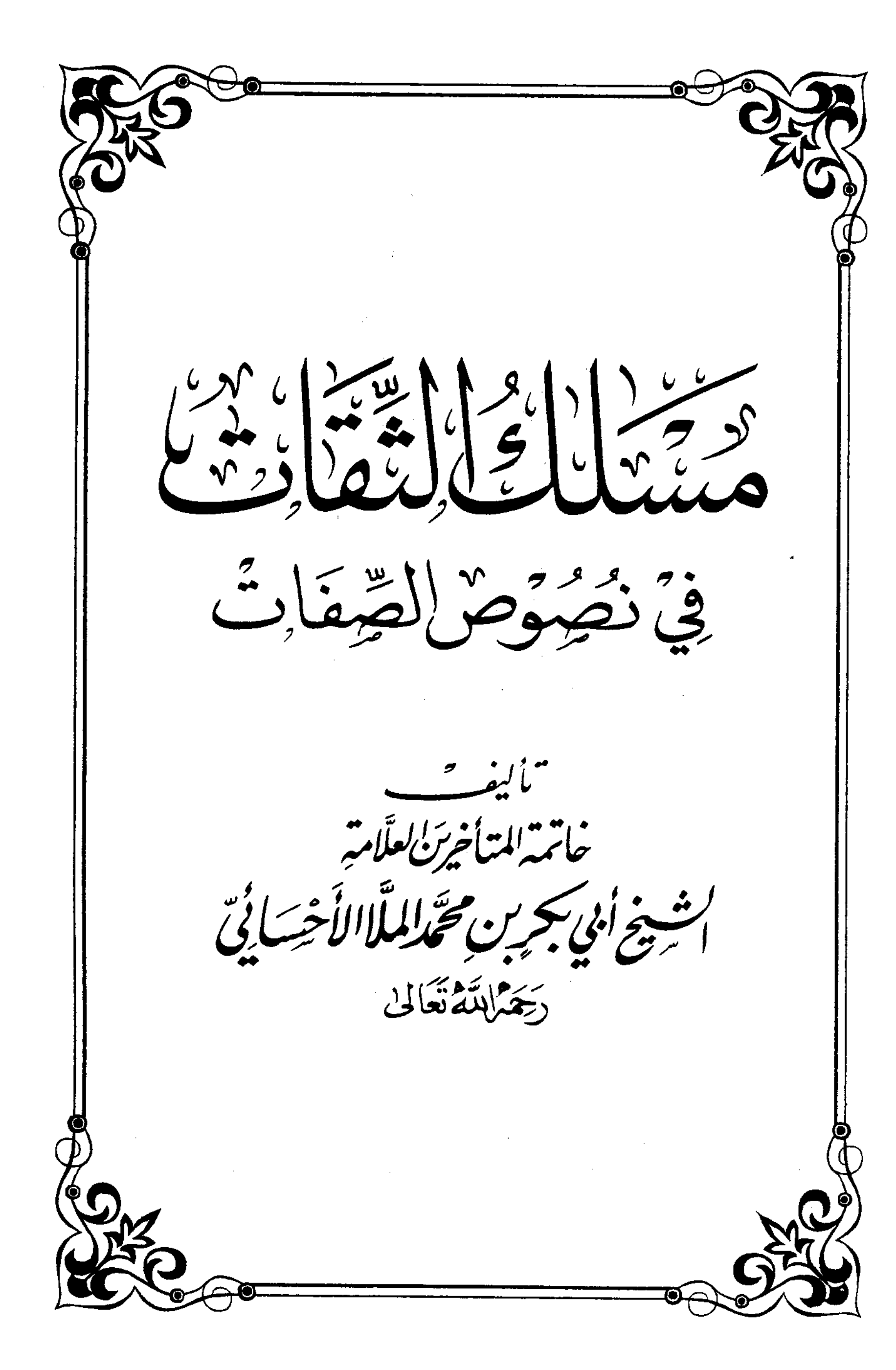
عبد الهادي الخرسة

تحقيق

عمر بن محمد الشيخلي







مَسْلَكُ الثِّقَاتِ

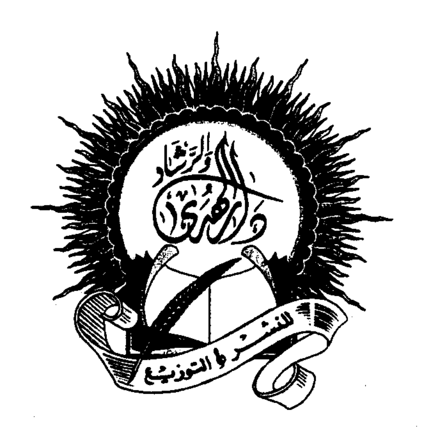
فِي نُصُوصِ الصِّفَاتِ

تأليف

خاتمة المتأخرين العلّامة

الشيخ أبي بكر بن محمّد الملّا الأحسائيّ

رحمه الله تعالى



DAR ALHUDA & RASHAD

سوريا – دمشق

هاتف :٦٣٨٠٨٢٠-٦٣٣٣٦٢٧ ١١ ٠٠٩٦٣

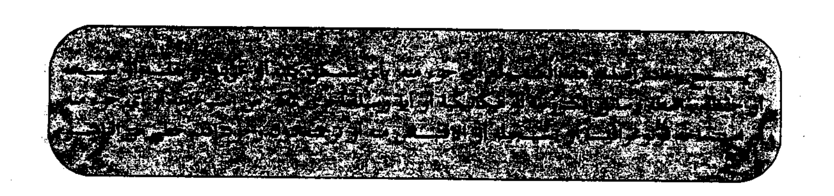
٠٩٦٦٦٤٦١٨٧١ - ص.ب : ٥٠٠٢٧

Hoda.rashad@windowslive.com

الطبعة الأولى

١٤٣١ هـ - ٢٠١٠م

جَمِيعُ الحُقُوقِ مَحْفُوظَة



تقديم فضيلة الشيخ عبد الهادي محمد الخرسة
حفظه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

ٱلحمد لله ٱلذي وفَّق مَن أحبَّ من عباده لما يحبه ويرضاه، وصلىٰ ٱلله وسلم وبارك علىٰ سيدنا محمَّد مصطفاه، وعلىٰ آله وأصحابه ومن والاه.

أمَّا بَعْد:

فقد طلب مني ٱلأستاذ ٱلمحقق عمر بن محمد ٱلشيخلي ـ بارك ٱلله فيه وزاده من فضله ـ أن أراجع هٰذه ٱلرسالة ـ « مسلك ٱلثقات » ـ وتعليقاته عليها فقمت بقراءة ٱلرسالة ومراجعة ما علَّق عليها، فوجدتها رسالة مختصرة مفيدة لإخواننا طلبة ٱلعلم؛ لما جمع فيها ٱلمؤلف وٱلمعلِّق من ٱلأدلة ٱلنقلية وٱلعقلية علىٰ مسائل ٱلعقائد ٱلصحيحة ٱلتي عليها أهل ٱلحق، وإنَّ تعلُّمَ ٱلعقيدة ٱلصحيحة بأدلتها فرضُ عين علىٰ كلِّ مكلَّف قادر علىٰ ٱلنظر وٱلاستدلال؛ بل هو أول ٱلواجبات كما هو مقرَّر، وإنَّ نشرَ كتب ٱلسَّلف وٱلخلف من ٱلعلماء ٱلثقات ٱلأثبات مع تحقيقها وٱلتعليق عليها بابٌ عظيم من أبواب ٱلدعوة إلىٰ ٱلله سبحانه، وٱلجهاد في سبيله؛ لإعلاء كلمة دينه ٱلحقِّ، ومَن وفقه ٱلله تعالىٰ إلىٰ

ذلك ؛ فليحمد ٱلله حمداً كثيراً دائماً ؛ لأنه جعله من كلماته ٱلتي يُحِقُّ بها ٱلحق ويُبطل بها ٱلباطل.

وأرجو من ٱلله عَزَّوَجَلَّ أن يحيينا ويميتنا علىٰ عقيدة أهل ٱلحق حتىٰ نلقاه سبحانه وهو راضٍ عنا ، وأن يحشرنا مع أحبابه وأوليائه أهل ٱلحق في ٱلبرازخ كلها بفضله وكرمه ، وأدعوه سبحانه أن ينفع ٱلمسلمين عامة وطلبة ٱلعلم ٱلشرعي خاصة بهٰذا ٱلكتاب ٱلقيِّم ، جزىٰ ٱلله تعالىٰ ٱلمؤلف وٱلمعلق عليه خير ٱلجزاء وجزاء ٱلخير ، آمين.

وصلَّىٰ ٱلله علىٰ سيدنا محمَّد وآله وصحبه وأتباعه وسلَّم ، وسلام علىٰ ٱلمرسلين.

كتبه

ٱلعبد ٱلفقير إلىٰ عفو ربه

عبد ٱلهادي محمَّد ٱلخرسة

خادم ٱلعلم ٱلشريف في دمشق ٱلشام

ٱلسبت ٩ / رجب / ١٤٣٢هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

ٱلحمد لله ٱلمتعالي عن ٱلشَّبيه وٱلنَّظير ، ٱلذي ليس كمثله شيء وهو ٱلسَّميع ٱلبصير ، وكل شيء إليه فقير ، وكل أمر عليه يسير ، لا يحتاج إلىٰ شيءٍ وهو علىٰ كل شيء قدير .

وٱلصَّلاة وٱلسَّلام علىٰ سيدنا محمَّد ٱلرَّسول ٱلأمين ، وخاتم ٱلنَّبيين ، وإمام ٱلمتقين ، وسيد ٱلسابقين وٱللاحقين ، وعلىٰ آله وأصحابه ٱلطَّيبين .

ٱعلم أن ٱلعلم بالله تعالىٰ وصفاته أجلُّ ٱلعلوم وأعلاها وأوجبُها وأولاها ، وهو أصل كل علم ومنشأ كل سعادة ، ولهٰذا سمي علم ٱلأصول .

وقد خصَّ ٱلنبي ﷺ نفسَه بالتَّرقي في هٰذا ٱلعلم فقال : « أنا أعلمكم بالله وأخشاكم له »[1] ، فكان هٰذا أهمَ ٱلعلوم تحصيلاً وأحقَّها تبجيلاً وتعظيماً ، قال تعالىٰ : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ ﴾ (محمد : ١٩) .

---

(١) أخرجه ٱلبخاري في « صحيحه » كتاب ٱلإيمان ، باب قول النبي ﷺ : « أنا أعلمكم بالله » ، رقم (٢٠) .

قدَّم ٱلأمر بمعرفة ٱلتَّوحيد علىٰ ٱلأمر بالاستغفار ، وٱلسبب فيه : أن ٱلتَّوحيد إشارة إلىٰ علم ٱلأصول ، وٱلاستغفارَ إشارة إلىٰ علم ٱلفروع ؛ لأنه ما لم يعلم وجود ٱلصانع ؛ يمتنع ٱلاشتغال بطاعته .

وقد حثَّ ٱلله تعالىٰ عباده في كثير من آيات ٱلقرآن علىٰ ٱلنَّظر في ملكوته لمعرفة جبروته ، فقال : ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (الأعراف : ١٨٥) ، وقال تعالىٰ : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ (فصلت : ٥٣) .

فإن قيل : قال ٱبن عباس رضي الله عنهما : (تَفكَّروا في ٱلخلق ، ولا تَفكَّروا في ٱلخالق)[1] ؛ فإنه منهي عنه .

قال أهل ٱلعلم : إنه ورد ٱلنهي عن ٱلتَّفكُّر في ٱلخالق مع ٱلأمر بالتَّفكُّر في ٱلخلق ، فإنه يوجب ٱلنَّظر وٱلتأمل في ملكوت ٱلسَّمٰوات وٱلأرض ليستدلَّ بذلك علىٰ ٱلصَّانع أنه لا يشبه شيئاً من خلقه ، ومن لم يعرف ٱلخالق من ٱلمخلوق كيف يعمل بهٰذا ٱلأثر ؟

لذلك قال ٱلمحدث ٱلشيخ محمد عربي ٱلتَّبان ٱلمالكي ما نصه : (ٱتفق ٱلعقلاء من أهل ٱلسنة ٱلشافعية وٱلحنفية وٱلمالكية وفضلاء ٱلحنابلة وغيرهم علىٰ أن ٱلله تبارك وتعالىٰ منزَّه عن ٱلجهة وٱلجسمية وٱلحد وٱلمكان ومشابهة مخلوقاته)[2] .

---

(١) أخرجه أبو ٱلشيخ في « ٱلعظمة » (١ / ٢١٦) ، وهَنَّاد في « ٱلزهد » (٣ / ٤٦٩) .

(٢) ينظر « براءة ٱلأشعريين » (١ / ٧٩) .

وموضوع هٰذا ٱلعلم ـ علم ٱلتوحيد ـ ٱلنَّظر في ٱلخلق لمعرفة ٱلخالق ، وقيل في تعريفه : هو علم يُتكلَّم فيه عن أسماء ٱلله تعالىٰ وصفاته وأفعاله وأحوال ٱلمخلوقين من ٱلملائكة وٱلأنبياء وٱلأولياء وٱلمبدأ وٱلمعاد ، علىٰ قانون ٱلإسلام لا علىٰ أصول ٱلفلاسفة ؛ لأنهم تكلموا في حق ٱلله وفي حق ٱلملائكة وغير ذلك ٱعتماداً علىٰ مجرد ٱلنَّظر وٱلعقل ، فجعلوا ٱلعقل أصلاً للدِّين ، فلا يتقيدون بالتَّوفيق بين ٱلنَّظر ٱلعقلي وبين ما جاء عن ٱلأنبياء .

أما علماء ٱلتَّوحيد ؛ فيتكلمون في ذلك من باب ٱلاستشهاد بالعقل علىٰ صحة ما جاء عن ٱلله تعالىٰ وعلىٰ صحة ما جاء عن رسول ٱلله ﷺ ، فعندهم ٱلعقل شاهد للدِّين ، وليس أصلاً للدِّين .

لذلك قال ٱلحافظ ٱلفقيه ٱلخطيب ٱلبغدادي في كتابه « ٱلفقيه وٱلمتفقه »[1] : لا تثبت ٱلصفة لله بقول صحابي أو تابعي إلا بما صحَّ من ٱلأحاديث ٱلنبوية ٱلمرفوعة ٱلمتفق علىٰ توثيق رواتها ، فلا يُحتج بالضَّعيف ولا بالمختلف في توثيق رواته حتىٰ لو ورد إسنادٌ فيه مُختَلَفٌ فيه وجاء حديث آخرُ يعضده ؛ فلا يحتج به .

وقال ٱلشيخ ٱلفقيه شيث بن إبراهيم ٱلمالكي[2] : أهل ٱلحق جمعوا بين ٱلمعقول وٱلمنقول أي : بين ٱلعقل وٱلشَّرع ، وٱستعانوا في درك

---

(١) ينظر « ٱلفقيه وٱلمتفقه » (ص ١٣٢) .

(٢) ينظر « حز ٱلغلاصم في إفحام ٱلمخاصم » (ص ٩٤) .

ٱلحقائق بمجموعهما ، فسلكوا طريقاً بين طريق ٱلإفراط وٱلتفريط ، وسنضرب لك مثالاً يقرب من أفهام ٱلقاصرين ذكره ٱلعلماء .

فنقول لذوي ٱلعقول : مثال ٱلعقل : ٱلعين ٱلباصرة ، ومثال ٱلشَّرع : ٱلشَّمس ٱلمضيئة ، فمن ٱستعمل ٱلعقل دون ٱلشَّرع ؛ كان بمنزلة من خرج في ٱلليل ٱلأسود ٱلبهيم وفتح بصره يريد أن يدرك ٱلمرئيات ويفرق بين ٱلمبصرات فيعرف ٱلخيط ٱلأبيض من ٱلخيط ٱلأسود . . . إلخ .

ومن هنا يُعلم أنَّ ٱلمشبِّهة وٱلمجسِّمة تائهون في ٱلمعتقد ؛ لأنهم خالفوا ٱلشَّرع وٱلعقل بقولهم : إن ٱلله جالس علىٰ ٱلعرش ، وتارة يقولون : إنه مستقرٌّ عليه ، وبقولهم : إن ٱلله يتحرك كل ليلة بنزوله من ٱلعرش إلىٰ ٱلسَّماء ٱلدنيا ، وغير ذلك من أقوالهم ٱلتي تدُل علىٰ ٱلتَّشبيه وٱلتَّجسيم لقياسهم ٱلخالق علىٰ ٱلمخلوق .

فقيَّض ٱلله تعالىٰ علماء أصول ٱلدِّين للتَّصدي لهٰذه ٱلبدع ، فقاموا بتلك ٱلمهمة خير قيام ، فجزاهم ٱلله خيراً ، وإنما يكون ٱلتعويل في كل علم علىٰ أئمته دون من سواهم ، ومن أجلِّ ٱلعلماء ٱلذين لهم قدم صدق في نصرة معتقد أهل ٱلسنة وٱلجماعة : صاحب ٱلفضيلة **خاتمة المتأخرين العلامة ابو بكر بن محمد الملا الأحسائي** رحمه الله تعالى ؛ فإنه قد جمع في هٰذا ٱلكتاب ما يردُّ شُبَهَ ٱلملاحدة ومفترياتهم ، وبيَّن فيه مذهب ٱلسَّلف وٱلخلف في ٱلمتشابهات فأوعىٰ بأحسن عبارة وألطف إشارةٍ مع إيجازٍ في ٱلتَّقرير ، ودقَّة في ٱلتَّعبير .

وأخيرًا : رحم ٱلله ٱمرأً نظر إليه بعين ٱلإنصاف ، وشمَّر ذيل عزمه لإصلاح ما طغىٰ به ٱلقلم ؛ ليحوز كمال ٱلتوفيق . [من الوافر]

فعين ٱلبغض تبرزُ كل عيب   وعين ٱلحب لا تجد ٱلعيوب

وما كان فيه من زلل وخطأ ؛ فهو من ٱلنَّفس وٱلشَّيطان ، وما كان فيه من ٱلصَّواب ؛ فهو من ٱلله وحسن توفيقه .

وصلىٰ ٱلله علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم

كتبه

ٱلفقير صاحب ٱلزلل وٱلتقصير ٱلراجي

من ربه عفو ذنبه ٱلكبير

عمر بن محمد ٱلشيخلي

تم بعونه تعالىٰ مساء يوم ٱلأربعاء ٱلواقع

٧ / من شهر رجب ٱلفرد ١٤٣٢هـ ٩ / ٦ / ٢٠١١م

غوطة دمشق ـ ٱلشام ٱلمحمية



ترجمة المؤلف الشيخ أبي بكر بن محمد الملا الأحسائي[١]

رحمه الله تعالى ورضي عنه وأرضاه

اسمه ونسبه :

هو العلامة الشيخ أبو بكر بن الشيخ محمد بن الشيخ عمر بن الشيخ محمد بن الشيخ عمر الملا ، المنسوب إلى بيت الواعظ ، الحنفي الأحسائي .

مولده ونشأته :

وُلد رحمه الله تعالى بمدينة الأحساء ـ مدينة هجر بحي الكوت والتي تقع في الجزء الشرقي من الجزيرة العربية ـ في اليوم الثاني من شهر ربيع الثاني من عام (١١٩٨هـ) .

وتنسب أسرة الملا إلى بيت الواعظ الذي يرجع نسبه إلى الصحابي الجليل سيدنا عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، كما أشار إلى ذلك الشيخ عبد الرحمن في مرثيته لوالده الجد الشيخ أبي بكر رحمه الله بقوله : [من الخفيف]

---

(١) أخذت هذه الترجمة من أحد أحفاد المؤلف رحمه الله تعالى ونفعنا به ، حينما قام بتحقيق كتاب « زواهر القلائد على مهمات القواعد » ، وهو الشيخ يحيى بن محمد بن أبي بكر الملا جزاه الله خيراً ونفع بعلومه ، وكذلك من كتاب « الزُّبد في مصطلح الحديث » شرح منظومة الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ أبي بكر الملا رحمهما الله جميعاً ، التي قام بإخراجها الدكتور فضل الرحمن صافي جزاه الله خيراً .

من قريش آباؤك ٱلغر جاؤوا هم حماةُ ٱلعرين كهف ٱلنَّزيل
لأبي بكر ينتمون ومن تيـ ـم فروع تسلسلت من أصول

توفي وٱلده وهو صغير ، وتربىٰ في حجر وٱلدته ، وهو محفوف بعين عناية مولاه ، وملحوظ بحفظه ورعايته ، إلىٰ أن بلغ سن ٱلتَّمييز وأُجلس عند ٱلمعلم ، فأتقن ٱلكتابة وٱلقراءة ، وأكمل حفظ ٱلقرآن ٱلكريم عن ظهر قلب ، ولم يتجاوز عمره عشر سنين ، فقد كان ذا حظ وافر من ٱلفهم وٱلذكاء .

ثم جد وٱجتهد في تحصيل ٱلعلوم ٱلنَّقلية وٱلعقلية علىٰ عدة مشايخ ذوي تمكين ، وعلماء جهابذة ميامين من علماء ٱلأحساء ، ومن غيرهم ممن يَقدُم ٱلأحساء حيث كانت في ذلك ٱلوقت محط رحال ٱلعلماء ، وقبلة ٱلفصحاء وٱلبلغاء ومناراً للعلم ، وكلما ظفر شيخنا بشيخ متفنن في ٱلعلوم مع ٱلإتقان ؛ ٱشتغل عليه حسب ٱلإمكان ، حتىٰ برع في كثير من ٱلعلوم ، وفاق أقرانه ، وغدا من أفاضل علماء عصره .

شيوخه :

لقد تتلمذ ٱلشيخ رحمه الله تعالى علىٰ جملة كبيرة من ٱلعلماء ، ومن أبرزهم عمَّاه :

- ٱلعلامة ٱلشيخ عبد ٱلرحمـٰن بن ٱلشيخ عمر ٱلملا ٱلحنفي .
- ٱلعلامة ٱلشيخ أحمد بن ٱلشيخ عمر ٱلملا ٱلحنفي .

• ٱلعلامة ٱلشيخ حسين بن محمد بن أبي بكر ٱلأحسائي ٱلحنفي.

كما أخذ من علماء ٱلحرمين ٱلشريفين أثناء سفره لأداء مناسك ٱلحج، ومن أبرزهم:

• ٱلسيد محمد بن ٱلسيد أحمد ٱلعطوشي ٱلمالكي ٱلمغربي ثم ٱلمدني، ٱلمدرس بالمسجد ٱلنبوي ٱلشريف.

• وٱلعلامة ٱلجليل ٱلسيد ياسين ميرغني ٱلحنفي ٱلمكي، وٱلمدرس بالمسجد ٱلحرام.

• وتلقىٰ علم ٱلأخلاق وٱلآداب وٱلسلوك من ٱلفاضل ٱلعالم ٱلعامل ٱلناسك ٱلزاهد ٱلشيخ حسين بن أحمد ٱلشهير بالدوسري ٱلشافعي ٱلبصري ثم ٱلمكي.

تلامذته:

أجازه شيوخه بما تجوز لهم روايته، وتُعلم لديهم درايته من تفسير وحديث وأصول وفروع من منقول ومعقول، مما تلقوه عن مشايخهم كما هو مذكور في أثباتهم.

كما أذنوا له بالإفتاء وٱلتدريس، فأفتىٰ ودرَّس في حياة أشياخه، وظهرت براعته وحسن تقريره، فأقبل عليه طلاب ٱلعلم من كل مكان ينهلون من علمه، وينتفعون بتربيته وسلوكه، فانتفع به خلق كثير.

وقد ذكر بعضَ تلاميذه ٱبنُهُ ٱلعلامة ٱلشيخ عبد ٱلله في ترجمته له ٱلمسماة: «**بغية ٱلسائلين عن ترجمة خاتمة ٱلمتأخرين**».

زهده وتقواه :

كان رحمه الله تعالى عالماً مهاباً مطاعاً عند ٱلعامة وٱلخاصة وولاة ٱلأمر ، بلغ من ٱلشهرة في عصره وبعد عصره مقداراً لا مزيد عليه ، ذا سياسة وعقل راجح رصين ، بحيث لا يواجه أحداً بما يكره ، بل يكلمه بالرفق وٱللين ، وصاحبَ إيثار وإنصاف وعفاف ، ينصح ٱلناس ويحببهم للائتلاف ، وينهاهم عن ٱلأمور ٱلتي تؤدي إلىٰ ٱلخلاف ، ذا رحمة وشفقة وحمية دينية ، يزجر عن ٱلأفعال ٱلرَّديَّة ٱلدَّنيَّة ، متواضعاً مع ٱلكبير وٱلصغير ، وٱلغني وٱلفقير ، سمحاً ليناً .

وقد كان رحمه الله ممن طلَّق ٱلدنيا ألبتة ، وركب فرس ٱلزهد يبتعد عن ٱلشبهة فضلاً عن ٱلحرام ؛ ليكون في تجلٍّ دائم مع ربه ، متأسِّياً بقول سيد ٱلناس صلى الله عليه وسلم : « ٱزهد في ٱلدنيا يحبك ٱلله ، وٱزهد عما في أيدي ٱلناس يحبك ٱلناس »(١) .

فكان من تعففه أنه لا يجعل غذاء جسمه إلا من غلَّات عقارات ملكه ، وأما ما كان تحت يده من غلات عقارات وقفٍ ؛ فيعزلها في موضع ، وتباع ، ثم يصرفها بعد عمارتها في مصارفها .

ويمكن أن نلخص منهجه ٱليومي بالعلم وٱلتعليم ، وٱلوعظ وٱلتذكير ، وٱلدعوة إلىٰ ٱلله بالحكمة وٱلموعظة ٱلحسنة ، مع ٱلمواظبة علىٰ نوافل ٱلطاعات ؛ من صلاة وصيام كما وردت بذلك ٱلسنة ٱلسنية .

---

(١) رواه ٱبن ماجه (٤١٠٢) .

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقوم للتهجد بعد ٱلنصف ٱلأول ، ثم يدعو بعد فراغه بأدعية نافعة للخاصة وٱلعامة ، مواظباً علىٰ إحياء ما بين ٱلعشاءين وما بين ٱلطلوعين ، وعلىٰ صلاة ٱلاستخارة كل يوم بعد ٱلإشراق ركعتين ، وٱلإتيان بدعائها ٱلمخصوص .

وبالجملة : فأوقاته كلها معمورة بالطاعات ؛ من تدريس أول ٱلنهار إلىٰ ٱلضحوة ٱلكبرىٰ ، وبعد صلاة ٱلظهر إلىٰ قرب صلاة ٱلعصر ، وبعدها إلىٰ قرب ٱلمغرب ، مستديماً في هٰذه ٱلثلاثة أوقات ما عدا يوم ٱلجمعة ويوم ٱلثّلاثاء ، فيدرس آخر ٱلنهار فيهما كما جرت به عادة علماء هٰذه ٱلبلاد رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ جميعاً .

مؤلفاته :

لقد ترك لنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ مصنفاتٍ كثيرةً جاوزت ٱلتسعين ؛ منها :

- « إرشاد ٱلقاري لصحيح ٱلبخاري » . (خ)
- « هداية ٱلمحتذي شرح شمائل ٱلترمذي » . (ط)
- « منهل ٱلصفا في شمائل ٱلمصطفىٰ » . (خ)
- « حادي ٱلأنام إلىٰ دار ٱلسلام » . (ط)
- « خلاصة ٱلاكتفاء في سيرة ٱلمصطفىٰ وٱلثلاثة ٱلخلفاء » . (ط)
- « عقد ٱللآلي بشرح بدء ٱلأمالي » . (ط)
- « روضة ٱلنواظر وٱلألباب بذكر أعيان ٱلصحابة ٱلأنجاب » . (خ)
- « منظومة تحفة ٱلطلاب » في ٱلفقه ٱلحنفي . (ط)

- «زواهر القلائد على مهمات القواعد». (ط)
- «منهاج الراغب شرح إتحاف الطلاب». (ط)
- «**مَسْلَكُ الثِّقَاتِ فِي نُصُوصِ الصِّفَاتِ**»، **وهو هذا الكتاب الذي أقوم بخدمته.**

ومن أراد الوقوف على ترجمة وافية للشيخ ومؤلفاته؛ فليراجع ترجمته المسماة: «**إجابة السائلين بترجمة خاتمة المتأخرين**» لابنه العلامة الشيخ عبد الله رحمهما الله تعالى ونفعنا الله بهما.

وفاته:

توفي رحمه الله تعالى ليلة الخميس ليلة التاسع والعشرين من شهر صفر الخير سنة (١٢٧٠هـ) بمكة المكرمة بعد قضاء مناسك الحج، وكانت وفاته وقت التذكير[١] في الحرم الشريف، وغسله رجل موصوف بالصلاح وهو من خواص أصحاب الشيخ اسمه الشيخ محمود الكردي المكي، ودفن في حوطة الشيخ صالح الريس، وقد دفن بهذه الحوطة جمع من العلماء والصلحاء رحمهم الله جميعاً.

❁ ❁ ❁

---

(١) التذكير: هو مناجاة الله تعالى قبل صلاة الفجر، ويسمى في بغداد بالتمجيد، وكان يؤدى على نغمٍ معين؛ وهو (السفيانِ) فرع من مقام (السيكا)، ومن أشهر الممجدين الحاج نجم الشيخلي، وهو تلميذ الملا عثمان الموصلي رحمهما الله تعالى.

مطلب
ذكر أهل السنة وبيان فضلهم

ليعلم أنَّ أهل ٱلسُّنة وٱلجماعة أتباعَ ٱلإمامين : ٱلإمام أبي ٱلحسن ٱلأشعري ، وإمام ٱلهدىٰ أبي منصور ٱلماتريديِّ رحمهما الله تعالى هم أتباعُ ٱلسَّلف وأتباع ٱلمذاهب ٱلأربعة من ٱلحنفية وٱلمالكية وٱلشَّافعية وفضلاء ٱلحنابلة ، وهم سواد هٰذه ٱلأمة ، وأئمة هٰذا ٱلدين ٱلقويم ، ونحن نرفع رؤوسنا فوق ٱلشَّمس باتِّباع هٰؤلاء ٱلذين هم أئمة هدىً ، وقد جاءت ٱلبشرىٰ إشارةً لهٰذين ٱلإمامين ولأتباعهما في كلام ٱلحبيب ٱلمحبوب صلى الله عليه وسلم ، وإليك بيانه .

روىٰ ٱلإمام ٱلبخاري في « صحيحه » عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن ٱلنبي صلى الله عليه وسلم قال : « أتاكم أهل ٱليمن ، هم أرق أفئدة ، وألين قلوباً ، ٱلإيمان يمان ، وٱلحكمة يمانية . . . » الحديث[1] .

وفي حديث ٱلبخاري أيضاً ، عن عمران بن ٱلحصين رضي الله عنهما قال : جاءت بنو تميم إلىٰ رسول ٱلله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « أبشروا يا بني تميم » ، قالوا : أما إذ بشرتنا ؛ فأعطنا ، فتغيَّر وجه رسول ٱلله صلى الله عليه وسلم ، فجاء ناس من أهل ٱليمن ، فقال : ٱلنبي صلى الله عليه وسلم : « ٱقبلوا ٱلبشرىٰ إذ

---

(١) « صحيح ٱلبخاري » كتاب ٱلمغازي ، باب قدوم ٱلأشعري ، رقم (٤٣٨٨) .

لم يقبلها بنو تميم » ، قالوا : قد قبلنا يا رسول ٱلله[١] .

وأبو موسىٰ ٱلأشعري رضي الله عنه يمنيٌّ ، وقد عنون ٱلبخاري عند هٰذا ٱلحديث بقوله : باب قدوم ٱلأشعريين وأهل ٱليمن ، وقال أبو موسىٰ عن ٱلنبي صلى الله عليه وسلم : « هم مني وأنا منهم »[٢] .

وفي قوله تعالىٰ : ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ (المائدة : ٥٤) قال صلى الله عليه وسلم : « هم قوم هٰذا » ، وضرب بيده علىٰ ظهر أبي موسىٰ ٱلأشعري رضي الله عنه[٣] .

قال شيخ ٱلإسلام ٱلإمام تاج ٱلدين ٱلسبكي رحمه الله تعالىٰ :

(وقد ٱستوعب ٱلحافظ ـ أي : ٱبن عساكر ـ في كتاب « ٱلتبيين »[٤] ٱلأحاديث ٱلواردة في هٰذا ٱلباب ، وهٰذا ملخصها : قال علمائنا : بشَّر فيها صلى الله عليه وسلم بأبي ٱلحسن ٱلأشعري إشارة وتلويحاً ، كما بشَّر بأبي عبد ٱلله ٱلشافعي رحمه الله تعالىٰ في حديث : « عالم قريش يملأ طباق ٱلأرض علماً »[٥] ، وبمالك رحمه الله تعالىٰ في حديث : « يوشك أن يضرب ٱلناس

---

(١) ٱلمصدر ٱلسابق رقم (٤٣٨٦) .
(٢) ٱلمصدر ٱلسابق .
(٣) رواه بهٰذا ٱللفظ ٱلحافظ ٱبن عساكر في « تبين كذب ٱلمفتري » (ص ٤٩) .
(٤) ينظر « تبيين كذب ٱلمفتري » (ص ٤٥) .
(٥) رواه أبو نعيم في « حلية ٱلأولياء » (٩ / ٦٥) ، وٱلحافظ ٱلبيهقي في « مناقب ٱلشافعي » (١ / ٢٦) .

آباط ٱلإبل ، فلا يجدون عالماً أعلم من عالم ٱلمدينة »[١] ، وكذلك إمامنا ٱلأعظم أبو حنيفة ؛ فقد وردت أحاديث صحيحة تشير إلىٰ فضله ؛ منها قوله ﷺ فيما رواه ٱلشيخان عن أبي هريرة ، وٱلطبراني عن ٱبن مسعود رضي الله عنه : أن ٱلنبي ﷺ قال : « لو كان ٱلإيمان عند ٱلثُّريا ؛ لتناوَله رجال من أبناء فارس »[٢] .

وممن وافق علىٰ هٰذا ٱلتأويل ـ أي : ٱلذي في حق ٱلإمام ٱلأشعري ـ وأخذ به من حفَّاظ ٱلمحدِّثين وأئمتهم : ٱلحافظ ٱلجليل أبو بكر ٱلبيهقيُّ فيما أخبرنا به يحيىٰ بن فضل ٱلعمري في كتابه ، عن مكي بن علام ، أخبرنا ٱلحافظ أبو ٱلقاسم ٱلدمشقي ، أخبرنا ٱلشيخ أبو عبد ٱلله محمد بن ٱلفضل ٱلفراوي ، أخبرنا أبو بكر أحمد بن ٱلحسين بن علي ٱلبيهقي ، قال : أما بعد :

فإن بعض أئمة ٱلأشعريين رضي الله عنهم ذاكرني بمتن ٱلحديث ٱلذي أنبأناه أبو عبد ٱلله محمد بن عبد ٱلله ٱلحافظ ، أخبرنا أبو ٱلعباس

(١) رواه ٱلحاكم في « ٱلمستدرك علىٰ ٱلصحيحين » (١ / ١٦٨) ، و« ٱلسنن ٱلكبرىٰ » (٢ / ٤٨٣) .

(٢) رواه أبو نعيم في « حلية ٱلأولياء » (٦ / ٦٤) ، وٱلطبراني في « معجمه ٱلكبير » (١٠ / ٢٠٤) ، وأورده ٱلهيثمي في « ٱلمجمع » (١٠ / ٦٥) ، وفيه محمد بن ٱلحجاج ٱللَّخميُّ وهو كذَّابٌ ، ومرادُ ٱلهيثمي في « مجمع ٱلزوائد » ٱلحكمُ علىٰ سند رواية ٱبن مسعود ، لا علىٰ أصل ٱلحديث ؛ لأنه ثابت في « ٱلصحيحين » .

محمد بن يعقوب ، حدثنا إبراهيم بن مرزوق ، حدثنا وهب بن جرير ، وأبو عامر العقدي ، قالا : حدثنا شعبة عن سماك بن حرب ، عن عياض الأشعري قال : لما نزلت : ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [المائدة : ٥٤] ؛ أومأ النبي صلى الله عليه وسلم إلى أبي موسى ، فقال : « هم قومُ هذا » .

قال البيهقي : وذلك لِمَا وجد من الفضيلة الجلية ، والمرتبة الشريفة للإمام أبي الحسن الأشعري رحمه الله تعالى ، فهو من قوم أبي موسى وأولادِه الذين أوتوا العلم ، ورزقوا الفهم مخصوصاً من بينهم بتقوية السنة وقمع البدعة بإظهار الحجة وردِّ الشبهة ، والأشبه أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما جعل قوم أبي موسى من قومٍ يُحبُّهم ويُحبُّونه ؛ لما علم من صحة دينه ، وعرف من قوة يقينه ، فمَن نحا في علم الأصول نحوهم ، وتبع في نفي التَّشبيه مع ملازمة الكتاب والسنة قولَهم ؛ جُعل من جملتهم . انتهى كلام البيهقي .

ونحن نقول[1] ولا نقطع على رسول الله صلى الله عليه وسلم : يشبه أن يكون نبي الله صلى الله عليه وسلم إنما ضرب على ظهر أبي موسى في الحديث الذي قدَّمناه ؛ للإشارة والبشارة بما يخرج من ذلك الظهر في تاسع بطن ، وهو الشيخ أبو الحسن ، فقد كانت للنبي صلى الله عليه وسلم إشارات لا يفهمها إلا الموفَّقون المؤيدون بنور من الله ، الراسخون في العلم ، ذووا البصائر المشرقة ، ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾ [النور : ٤٠] .

---

(١) أي : الإمام تاج الدين السبكي .

وعن مجاهد في قوله تعالىٰ : ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ﴾ [المائدة : ٥٤] قال : قوم من سبأ ، قال ٱبن عساكر : وٱلأشعريون قوم من سبأ .

قلتُ : وقال علماؤنا : إنَّ ٱلنبي ﷺ لم يحدِّث في أصول ٱلدين أحداً بحديث حدثه للأشعريين ، وأنهم ٱلذين ٱختصوا بسؤاله عن ذلك وإجابته لهم ، ففي « صحيح ٱلبخاري » وغيره عن عمران بن ٱلحصين قال : إني لجالس عند ٱلنبي ﷺ إذ جاءه قوم من بني تميم ، فقال : « ٱقبلوا ٱلبشرىٰ يا بني تميم » ، قالوا : قد بشرتنا ؛ فأعطنا يا رسول ٱلله ، قال : فدخل عليه ناس من أهل ٱليمن ، فقال : « ٱقبلوا ٱلبشرىٰ يا أهل ٱليمن إذ لم يقبلها بنو تميم » ، قالوا : قبلنا يا رسول ٱلله ، جئنا لنتفقه في ٱلدين ، ونسألك عن أول هٰذا ٱلأمر ، كذا في لفظ ، وفي لفظ ٱلبخاري : جئناك نسألك عن هٰذا ٱلأمر ، قال : « كان ٱلله ولم يكن شيء غيره »[1] ، وفي رواية : « ولم يكن شيء قبله ، وكان عرشه علىٰ ٱلماء ، ثم خلق ٱلسماوات وٱلأرض ، وكتب في ٱلذكر كل شيء . . . »[2]) انتهىٰ كلام ٱلإمام ٱلسبكي[1] .

---

(١) « صحيح ٱلبخاري » كتاب بدء ٱلخلق ، باب الطِّيب للجمعة ، رقم (٣١٩١).

(٢) « صحيح ٱلبخاري » كتاب ٱلتوحيد ، باب وكان عرشه علىٰ الماء ، رقم (٧٤١٨).

وقال تاج ٱلدين ٱلسبكي أيضاً : (ٱعلم أن أبا ٱلحسن لم يُبدِع رأياً ، ولم يُنشِ مذهباً ، وإنما هو مقرٌّ لمذهب ٱلسَّلف ، مناضلٌ عمَّا كانت عليه صحابة رسول ٱلله ﷺ ، فالانتساب إليه إنما هو باعتبار أنه عقد علىٰ طريق ٱلسَّلف نطاقاً ، وتمسك به ، وأقام ٱلحجج وٱلبراهين عليه ، فصار ٱلمقتدي به في ذلك ٱلسالكُ سبيله في ٱلدلائل يسمىٰ أشعرياً)[١] .

هٰذا فيما يتعلق بالإمام أبي ٱلحسن ٱلأشعري رحمه الله تعالى .

أما إمام ٱلهدىٰ أبو منصور ٱلماتريدي رحمه الله تعالى ؛ فقد جاءت ٱلبشرىٰ به إشارة وتلويحاً ، وذلك بقوله ﷺ : « لتفتحن ٱلقسطنطينيَّة ، ولنعم ٱلأمير أميرها ، ولنعم ٱلجيش ذلك ٱلجيش »[٢] ، ومعلوم أنَّ ٱلذي فتح ٱلقسطنطينيَّة إنما هو ٱلقائد محمد ٱلفاتح رحمه الله تعالى ، وهو حنفيٌّ ماتريديٌّ صوفيُّ ٱلمشرب ، وٱلجيش ٱلمذكور قد حوىٰ ٱلأشاعرة وٱلماتريدية .



---

(١) ينظر « طبقات ٱلشافعية ٱلكبرىٰ » (٣/ ٣٦٢) ، و« تبيين كذب ٱلمفتري » (ص ٥١).

(٢) رواه ٱلحاكم في « ٱلمستدرك » (٤ / ٤٦٨) ، وأورده ٱلحافظ ٱبن عبد ٱلبر في « ٱلاستيعاب » (١/ ١٧٠) ، وٱلهيثمي في « مجمع ٱلزوائد » (٦/ ٣٢٣) .

مطلب
ثبوت التأويل التفصيلي عن السلف

والتأويل ٱلتفصيلي وإن كان عادة ٱلخلف ، فقد ثبت أيضاً عن غير واحد من أئمة ٱلسَّلف وأكابرهم كابن عباس من ٱلصحابة ، ومجاهد تلميذ ٱبن عباس من ٱلتابعين ، وٱلإمام أحمد ممن جاء بعدهم ، وكذلك ٱلبخاري وغيره.

أما ٱبن عباس ؛ فقد قال ٱلحافظ ٱبن حجر في « شرح ٱلبخاري »[1] : وأما ٱلساق ؛ فجاء عن ٱبن عباس في قوله تعالىٰ : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴾ [القلم : ٤٢] قال : عن شدة من ٱلأمر ، وٱلعرب تقول : قامت ٱلحرب علىٰ ساق ؛ إذا ٱشتدت ، ومنه : [من الرّجز]

قَد سَنَّ أصحَابُك ضَربَ ٱلأعنَاق وقَامَت ٱلحربُ بِنَا عَلىٰ سَاق

وجاء عن أبي موسىٰ ٱلأشعري في تفسيرها : عن نور عظيم ، قال ٱبن فورك : معناه ما يتجدد للمؤمنين من ٱلفوائد وٱلألطاف.

وقال ٱلمُهَلب : كشف ٱلساق للمؤمنين رحمة ولغيرهم نقمة.

وقال الخطابي[2] : تهيَّب كثير من الشيوخ الخوضَ في معنىٰ ٱلسَّاق ، ومعنىٰ قول ٱبن عباس : أن ٱلله يكشف عن قدرته ٱلتي تظهر

---

(١) « فتح ٱلباري شرح صحيح ٱلبخاري » (١٣ / ٤٢٨).

(٢) ينظر « ٱلأسماء وٱلصفات » للبيهقي (ص ٣٤٥).

بها ٱلشدة ، وأسند ٱلبيهقي الأثر ٱلمذكور عن ٱبن عباس بسندين كل منهما حسن ، وزاد : إذا خفي عليكم شيء من ٱلقرآن ؛ فابتغوه من ٱلشعر ، وذكر ٱلرجز ٱلمشار إليه ، وأنشد ٱلخطابي في إطلاق ٱلساق علىٰ ٱلأمر ٱلشديد : [من الرّجز]

في سَنَةٍ قَد كشَفَتْ عَن ساقِهَا

وأما مجاهد ؛ فقد قال ٱلحافظ ٱلبيهقي[1] : وأخبرنا أبو عبد ٱلله ٱلحافظ وأبو بكر ٱلقاضي قالا : حدثنا أبو ٱلعباس محمد بن يعقوب ، حدثنا ٱلحسن ٱبن علي بن عفان ، حدثنا أبو أسامة ، عن ٱلنضر ، عن مجاهد في قوله عَزَّ وَجَلَّ : ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة : ١١٥] قال : قبلة ٱلله ، فأينما كنت في شرق أو غرب ؛ فلا توجهن إلا إليها .

وأما ٱلإمام أحمد ؛ فقد روىٰ ٱلبيهقي في « مناقب ٱلإمام أحمد » عن ٱلحاكم ، عن أبي عمرو بن ٱلسماك ، عن حنبل : أن أحمد ٱبن حنبل تأوّل قول ٱلله تعالىٰ : ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر : ٢٢] : أنه جاء ثوابه .

ثم قال ٱلبيهقي : وهٰذا إسناد لا غبار عليه نَقل ذلك ٱبن كثير في « تاريخه » .

---

(١) ينظر « ٱلأسماء وٱلصفات » (ص ٣٠٩).

وفي رواية أخرجها ٱلبيهقي في كتاب « مناقب ٱلإمام أحمد » تأويل: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾ [الفجر : ٢٢] بمجيء ثوابه ، ثم قال ٱلبيهقي : وهٰذا إسناد لا غبار عليه .

قال ٱلبيهقي في « مناقب ٱلإمام أحمد »[1] : أنبأنا ٱلحاكم ، قال : حدثنا أبو عمرو بن ٱلسماك ، قال : حدثنا حنبل بن إسحاق ، قال : سمعت عمي أبا عبد ٱلله ـ يعني : أحمد ـ يقول : ٱحتجوا عليَّ يومئذٍ ـ يعني : يوم نوظر في دار أمير ٱلمؤمنين ـ فقال تجيء سورة ٱلبقرة يوم ٱلقيامة وتجيء سورة تبارك ، فقلت لهم : إنما هو ٱلثَّواب ، قال ٱلله تعالىٰ : ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾ [الفجر : ٢٢] إنما يأتي قدرته ، وإنما ٱلقرآن أمثال ومواعظ .

قال ٱلبيهقي : وفيه دليل علىٰ أنه كان لا يعتقد في ٱلمجيء ٱلذي ورد به ٱلكتاب ، وٱلنزول ٱلذي وردت به ٱلسنة ٱنتقالاً من مكان إلىٰ مكان كمجيء ذوات ٱلأجسام ونزولها ، وإنما هو عبارة عن ظهور آيات قدرته ، فإنهم لما زعموا أن ٱلقرآن لو كان كلام ٱلله وصفة من صفات ذاته ؛ لم يجز عليه ٱلمجيء وٱلإتيان ، فأجابهم أبو عبد ٱلله بأنه

---

(١) ينظر « ٱلبداية وٱلنهاية » (١٠ / ٣٢٧) ، وتعليق ٱلعلامة محمد زاهد ٱلكوثري علىٰ « ٱلسيف ٱلصقيل » للإمام ٱلسبكي (ص ١٢٠ ـ ١٢١) .

يجيء ثواب قراءته ٱلتي يريد إظهارها يومئذ، فعبر عن إظهاره إياها بمجيئه.

وهٰذا دليل علىٰ أن ٱلإمام أحمد رحمه الله تعالى ما كان يحمل آيات ٱلصفات وأحاديث ٱلصفات ٱلتي تُوهِم أن ٱلله متحيز في مكان أو أن له حركة وسكوناً وٱنتقالاً من أعلىٰ إلىٰ أسفل علىٰ ظواهرها.

إذ لو كان يعتقد في ٱلله ٱلحركة وٱلسكون وٱلانتقال؛ لترك ٱلآية علىٰ ظاهرها وحملها علىٰ ٱلمجيء بمعنىٰ ٱلتَّنقُّل من علو إلىٰ سفل كمجيء ٱلملائكة، وما فاه بهٰذا ٱلتأويل.

وقد روىٰ ٱلبيهقي في «ٱلأسماء وٱلصفات»[1] عن أبي ٱلحسن ٱلمقرئ قال: حدثنا أبو عمرو ٱلصفار، حدثنا أبو عوانة، حدثنا أبو ٱلحسن ٱلميموني قال: خرج إلي يوماً أبو عبد ٱلله أحمد ٱبن حنبل فقال: ٱدخل، فدخلت منزله فقلت: أخبرني عما كنت فيه مع ٱلقوم، وبأي شيء كانوا يحتجُّون عليك؟ قال: بأشياء من ٱلقرآن يتأوَّلونها ويفسرونها، هم ٱحتجُّوا بقوله: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢] قال: قلت: قد يحتمل أن يكون تنزيله إلينا هو ٱلمُحدَثُ لا ٱلذكر نفسه هو ٱلمُحدَث.

---

(١) ينظر «ٱلأسماء وٱلصفات» (ص ٢٣٥).

قلت ـ أي : قال ٱلبيهقي ـ : وٱلذي يدل علىٰ صحة تأويل أحمد ٱبن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ : ما حدّثنا أبو بكر محمد بن ٱلحسن بن فورك ، حدّثنا أبو عبد ٱلله بن جعفر ، حدّثنا يونس بن حبيب ، حدّثنا أبو داود ، حدّثنا شعبة ، عن عاصم ، عن أبي وآئل ، عن عبد ٱلله ـ هو ٱبن مسعود ـ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال : أتيت رسول ٱلله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسلمت عليه ، فلم يرد عليَّ ، فأخبرني ما قَدُمَ وما حدث ، فقلت : يا رسول ٱلله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحدث فيَّ شيء ، فقال رسول ٱلله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إن ٱلله عَزَّ وَجَلَّ يحدث لنبيه من أمره ما شاء ، وإنَّ ممَّا أحدث ألَّا تَكَلَّموا في ٱلصلاة » .

وورد ٱلتَّأويل أيضاً عن ٱلإمام مالك ؛ فقد نقل ٱلزرقاني[1] عن أبي بكر ٱبن ٱلعربي أنه قال في حديث : « ينزل ربنا » : ٱلنزول راجع إلىٰ أفعاله لا إلىٰ ذاته ، بل ذلك عبارة عن مَلَكِه ٱلذي ينزل بأمره ونهيه .

فالنزول ٱلحسيُّ صفة ٱلملَك ٱلمبعوث بذلك ، أو معنوي بمعنىٰ لم يفعل ثم فعل ، فسمىٰ ذلك نزولاً عن مرتبة إلىٰ مرتبة ، فهي عربية صحيحة .

---

(١) ينظر « شرح ٱلزرقاني علىٰ ٱلموطأ » (٢ / ٣٥) .

وأوّلَ ٱلإمام ٱلبخاري ٱلضحِك ٱلوارد في ٱلحديث بالرحمة نقل ذلك عنه ٱلخطابي فقال: وقد تأوّل ٱلبخاري ٱلضحك في موضع آخر على معنى ٱلرحمة وهو قريب وتأويله على معنى ٱلرضا أقرب[1].

وكذلك ورد في «صحيح ٱلبخاري»[2] عند قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨] قال ٱلبخاري: إلا ملكه، وقال: إلا ما أريد به وجه ٱلله.

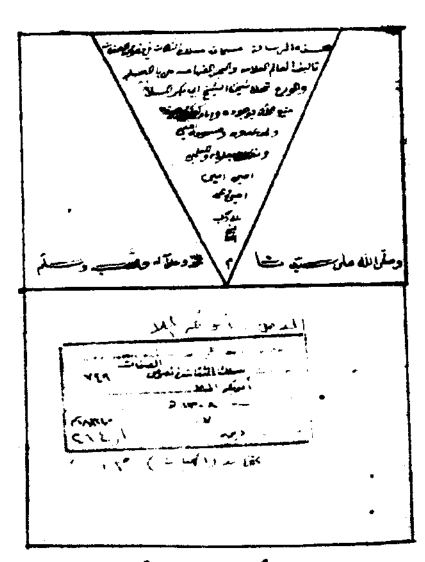


(١) ينظر «ٱلأسماء وٱلصفات» (ص ٤٧٠).

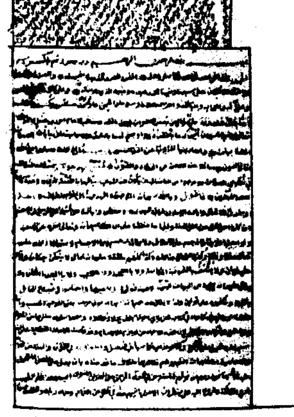
(٢) ينظر «صحيح ٱلبخاري» كتاب ٱلتفسير، باب تفسير سورة ٱلقصص.

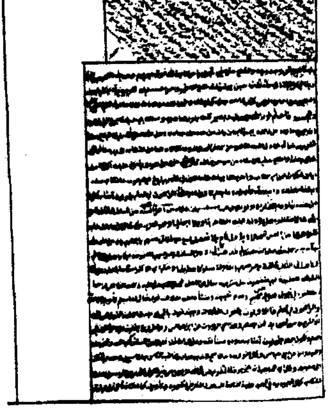
صور المخطوط المستعان به



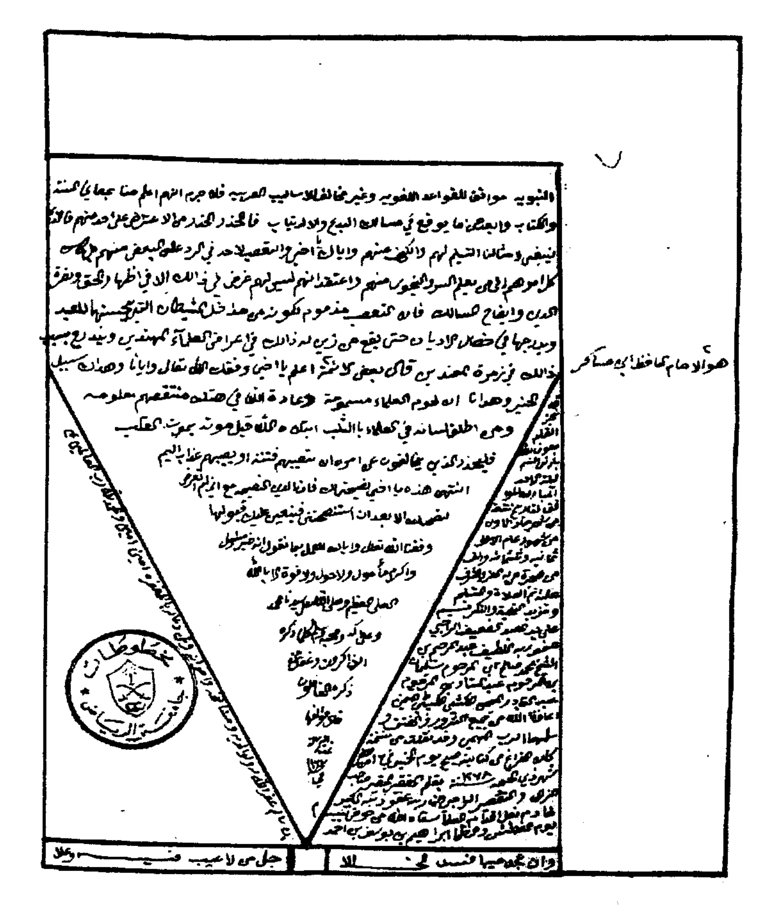


صفحة ٱلعنوان من ٱلمخطوط





ٱلورقة ٱلأولى من ٱلمخطوط

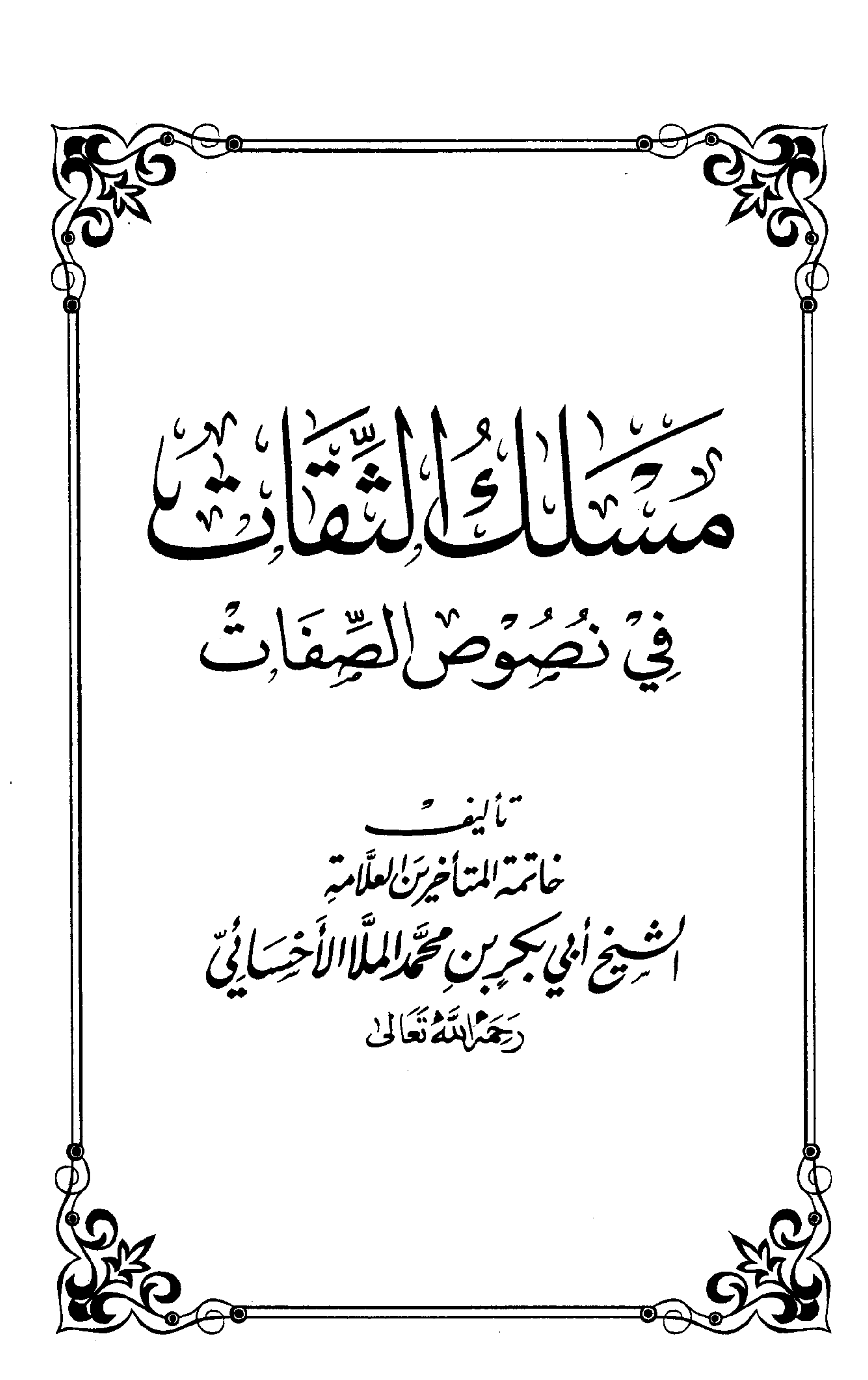


النبوية موافق للقواعد اللغوية وغير مخالف للأساليب العربية فلا جرم أنهم أعلم منا بمعاني السنة
والكتاب والبعض ما يوقع في مسائل البدع والارتياب فالحذر الحذر من الاعتراض على أحد منهم فالذي
ينبغي في مسائل التسليم لهم لأنك منهم وإياك أخي والتعصب لأحد في الرد على البعض منهم
كلامهم إلى بعض السوء والغرور منهم واعتقد أنهم ليس لهم غرض في ذلك إلا إظهار الحق ونصرة
الدين وإيضاح المسائل فإن التعصب مذموم لكونه من مداخل الشيطان التي يحسنها للعبد
ويدرجها في خصال الأدب حتى يقع من زين له ذلك في أعراض العلماء المهتدين ويندرج بسبب
ذلك في زمرة المعتدين قال بعض الأئمة اعلم يا أخي وفقك الله تعالى وإيانا وهداك سبيل
الخير وهداك أن لحوم العلماء مسمومة وعادة الله في هتك منتقصهم معلومة
ومن أطلق لسانه في العلماء بالثلب ابتلاه الله قبل موته بموت القلب
فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم

هو الإمام الحافظ ابن عساكر

وإن تجد عيبا فسد الخللا | جل من لا عيب فيه وعلا

الصفحة الأخيرة من المخطوط



مسلك الثقات

في نصوص الصفات

تأليف

خاتمة المتأخرين العلامة

الشيخ أبي بكر بن محمد الملا الأحسائي

رحمه الله تعالى



مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسر وتمم ياكريم

ٱلحمدُ لله ٱلواحدِ ٱلأحد فلا شريك له ، ٱلفرد ٱلصَّمد ٱلذي لا شَبيه له ، وٱلصَّلاة وٱلسَّلام ٱلأتمَّان ٱلأكمَلان علىٰ سيِّدنا ونبيِّنا محمدٍ عبده ونبيه ٱلذي أرسَلَهُ ، وعلىٰ كافة ٱلخلقِ فضَّلَهُ ، وعلىٰ آله وأصحابه وأتبَاعه وأحزَابِه صَلاةً وسَلاماً دائمين ما رُسِمَت مسألة ، وكُشِفَت مُعضِلةٌ .

أمّا بعـد :

فقدَ وردَ عليَّ سؤالٌ من بعض ٱلإخوان من مقلديّ مذهب ٱلإمام أحمد ٱبن حنبل رحمه الله تعالى ورضي عنه ، أن أبيِّن له ما يعتقدُهُ ، وأوضِّحَ له ما يعتمدُه مما يتعلقُ بآياتِ ٱلصِّفات ٱلمتشابهات ، وأحاديثها ٱلمرويَّة عن ٱلثِّقات .

فأَجبتُهُ إلىٰ ذلك مستَمداً من ٱلله تعالىٰ ٱلعَون ، سائلاً منه ٱلعصمَة من ٱلخطأ وٱلصَّون ، مسَمِّياً لهٰذا ٱلجواب بـ« مُسْلكُ الثِّقَاتِ في نُصُوصِ الصِّفَاتِ » ، وأرجو من ٱلله تعالىٰ أن يكون هٰذا ٱلجواب سبَباً لهداية ٱلمسترشدين ، وعُدَّةً كافيةً لعصمة ٱلمهتدين .

فأقول ـ وبالله سبحانه ٱلتَّوفيق وٱلهدايةُ إلىٰ أقوم ٱلطَّريق ـ :

ٱعلم : أرشدني ٱلله تعالىٰ وإيَّاك إلىٰ سلوك طَريقِ ٱلهدىٰ ، وحفِظَني وإيَّاك من سُبُل أهل ٱلزَّيغ وٱلاعتداء ، أنَّ كلمة أهل ٱلحق من أهل ٱلسُّنة وٱلجماعة ، متفقةٌ علىٰ أنَّ ٱلله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ منزَّهٌ عن ٱلجسمية ولواحِقِهَا ، فلا يقال : إنَّه جسمٌ علىٰ ٱلإطلاق ، ولا يقَال : إنَّه جسمٌ لا كالأجسَام ، لاستحَالة ذلك عليه تعالىٰ عقلاً[1] ونقلاً[2] ، وكفَّروا ٱلقائلَ بذلك ، وكذا كلمتُهم متفقةٌ علىٰ أنَّه تَعَالىٰ لا يتَمكَّن بمكان ، ولا يَمُرُّ

(١) ٱلدليل ٱلعقلي علىٰ ذلك : أنه لو كان يشبه شيئاً من خلقه ؛ لجاز عليه ما يجوز علىٰ ٱلخلق من ٱلتغيُّر وٱلتطور ، ولو جاز عليه ذلك ؛ لاحتاج إلىٰ من يُغيِّرُهُ ، وٱلمحتاج إلىٰ غيره لا يكون إلهاً ، فثبت له أنه لا يشبه شيئاً .

(٢) وٱلبرهان ٱلنقلي : هو قوله تعالىٰ : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ (الشورىٰ : ١١) ، وهو أوضح دليل نقلي جاء في ٱلقرآن ؛ لأن هـٰذه ٱلآية تُفهِمُ ٱلتنزيه ٱلكلي ؛ لأن ٱلله تبارك وتعالىٰ ذكر فيها لفظ ﴿ شَىْءٌ ﴾ في سياق ٱلنفي ، فهي للشمول ، فالله تبارك وتعالىٰ نفىٰ بهـٰذه ٱلجملة عن نفسه مشابهةَ ٱلأجرام وٱلأجسام وٱلأعراض ، فهو تبارك وتعالىٰ كما لا يشبه ذوي ٱلأرواح من أنس وجن وملائكة وغيرهم ، لا يشبه ٱلجمادات من ٱلأجرام ٱلعلوية وٱلسفلية أيضاً ، فالله تبارك وتعالىٰ لم يقيد نفي ٱلشبه عنه بنوع من أنواع ٱلحوادث ، بل شمل نفي مشابهته لكل أفراد ٱلحادثات ، ويشمل نفيُ مشابهة ٱلله لخلقه : تنزيهه تعالىٰ عن ٱلمكان وٱلجهة وٱلكمية وٱلكيفية ، فالكمية هي مقدار ٱلجرم ، فهو تبارك وتعالىٰ ليس كالجرم ٱلذي يدخله ٱلمقدار وٱلمساحة وٱلحد ، فهو ليس بمحدود ذي مقدار ومسافة . =

عليه زمَانٌ ، ولا يتَّصفُ بالفَوقية ٱلمكَانيَّة ، ولا بالتَّحتية ، ولا بالقُرب ، ولا بالبُعدِ بالمَكَان ، ولا يقَال : إنَّه في جهةٍ[1] من ٱلجِهات ٱلسِّت ، لا جِهة فوقٍ ولا غيرها[2] .

= قال ٱلمفسر ٱللغوي أبو حيان في قوله تعالىٰ : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ (النحل : ٦٠) أي : ٱلصفة ٱلعليا من تنزيهه تعالىٰ عن ٱلولد ، وٱلصاحبة ، وجميع ما تَنسب ٱلكفرة إليه ، مما لا يليق به تعالىٰ ؛ كالتشبيه ، وٱلانتقال ، وظهوره تعالىٰ في صورة ، إذاً : فلا يُوصف ربُّنا عَزَّ وَجَلَّ بصفات ٱلمخلوقين ؛ من ٱلتَّغير ، وٱلتَّطور ، وٱلحلول في ٱلأمَاكن ، وٱلسُّكنىٰ فوق ٱلعرش ، تعالىٰ ٱلله عن ذلك علواً كبيراً . ينظر « ٱلبحر ٱلمحيط » (٢/ ٢٥٣) .

(١) وكذا لا يقال : داخل ٱلعالم ولا خارجه . فمن ٱعتقد ٱلاتصال بالعالم أو ٱلانفصال عنه ؛ كفر ، كما يفهم من صريح عبارة « ٱلتحفة » لابن حجر حيث قال في أحكام ٱلرِّدة منها : (أو أثبت له ما هو منفيٌّ عنه إجماعاً ؛ كاللون ، أو ٱلاتِّصال بالعالم ، أو ٱلانفصال عنه ، فمُدَّعي ٱلجسمية أو ٱلجهة إن زعم واحداً من هٰذه ؛ كفر ، وإلا فلا ؛ لأنَّ ٱلأصح : أن لازم ٱلمذهب ليس بمذهب « بلازم » ، ونوزع فيه بما لا يُجدي ، وظاهر كلامهم هنا ٱلاكتفاء بالإجماع وإن لم يُعلم من ٱلدِّين بالضَّرورة ، ويمكن توجيهُه بأنَّ ٱلمُجمع عليه هنا لا يكون إلَّا ضرورياً ، وفيه نظر ، وٱلوجه : أنَّه لا بد من ٱلتقييد به هنا أيضاً ، ومن ثَمَّ قيل : أخذاً من حديث ٱلجارية يغتفر نحو ٱلتَّجسيم وٱلجهة في حقِّ ٱلعوام ؛ لأنَّهم مع ذلك علىٰ غايةٍ من ٱعتقاد ٱلتَّنزيه وٱلكمال ٱلمطلق) انتهىٰ من « تحفة » ٱلشيخ ٱبن حجر ٱلهيتمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ . **كذا بخط ٱلمؤلف لوحة (١/أ)** .

(٢) لأن من عرف لفظ ٱلجهة ، ومعنىٰ لفظ ٱلاختصاص ، فَهِم قطعاً ٱستحالة ٱلجهات علىٰ غير ٱلجواهر وٱلأعراض ؛ إذ ٱلحيز معقول ، وهو ٱلذي =

واختلفوا في تبديع ٱلقَائلِ بالجهِة وتكفيرِه علىٰ قولين[1] ، وكذا لا يُقَال عندَهم : إنَّه سبحانه فوقَ ٱلعَرش بمعنىٰ ٱلفوقية ٱلحسية .

وإنما يقال : ٱستوىٰ علىٰ عرشه ، كما جاء في كتابه ٱلعزيز ، أي : ٱستواءً يليق بجلاله كما أراد وأخبر ، ٱستواءً منزَّهاً عن ٱلحلول وٱلاستقرار وٱلحركة وٱلانتقال ؛ لأنَّ هٰذه ٱلأشياء من لوازم ٱلأجسام ، وقد قامت ٱلأدلة ٱلقطعية علىٰ أنَّه سبحانه يستحيل عليه ٱلجسميةُ ، وكذا لوازُمها كما سيأتي .

۞ ۞ ۞

= يختص ٱلجوهر به ، ولكن ٱلحيز إنما يصير جهة إذا أضيف إلىٰ شيء آخر متحيز .

قال ٱلإمام أبو جعفر ٱلطحاوي في « عقيدته » ٱلتي ذكر أنها عقيدة أهل ٱلسنة وٱلجماعة : (تعالىٰ ٱلله عن ٱلحدود وٱلغايات ، وٱلأركان وٱلأعضاء وٱلأدوات ، لا تحويه ٱلجهات ٱلست كسائر ٱلمبتدعات) . ينظر « ٱلعقيد ٱلطحاوية » (ص ٧٥) .

(١) قال ٱبن نجيم : ويكفر بإثبات ٱلمكان لله تعالىٰ ، فإن قال : ٱلله في ٱلسَّماء ؛ فإن قصد حكاية ما جاء في ظاهر ٱلأخبار ؛ لا يكفر ، وإن أراد ٱلمكان ؛ كفر ، وإن لم يكن له نية ؛ كفر عند ٱلأكثر ، وهو ٱلأصح وعليه ٱلفتوىٰ .
ومعنىٰ (إن لم يكن له نية) : أنه إن أطلق ٱلكلام وقال : لا أدري ماذا قصدت ، ولم يقصد ٱلمكان ؛ لا يكفر . ينظر « ٱلبحر ٱلرائق » (٥/ ١٢٩) .

فصل

[ما ورد في القرآن والسنة من الآيات والأحاديث المتشابهات]

وأما ما ورد في ٱلقرآن وٱلسُّنة من ٱلآيات وٱلأحاديث ٱلمتشابهات ٱلتي يُوهِمُ ظاهرُها خلافَ ما قدَّمناه ؛ بأن يدُلَّ علىٰ ٱلمعنىٰ ٱلمستحيل عليه تعالىٰ ، [كقوله] : ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ [النحل : ٥٠] ، ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ [الملك : ١٦] ، ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه : ٥] ، ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾ [فاطر : ١٠] ، ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ [المعارج : ٤] ، ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ [الرحمن : ٢٧] ، ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴾ [طه : ٣٩] ، ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾ [القمر : ١٤] ، ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [الفتح : ١٠] .

وحديث « ٱلصحيحين » : « يَنزِلُ ربُّنا في كل ليلةٍ إلىٰ ٱلسماء ٱلدُّنيا حين يبقىٰ ثُلُثُ ٱللَّيل ٱلأخير »[1] .

وحديث مسلم : « إنَّ قلوبَ بني آدم كُلَّها بين إصبَعين من أصابع

---

(١) أخرجه ٱلإمام ٱلبخاري في « صحيحه » كتاب أبواب التهجد ، باب ٱلدعاء وٱلصلاة من آخر ٱلليل ، رقم (١١٤٥) .

ٱلرَّحمٰن كقلبٍ واحدٍ يُصرِّفه كيف شاء»[1] ، وغير ذلك من ٱلآيات وٱلأحاديث ٱلتي ٱحتجَّ ٱلمشبِّهة وٱلمجسمة [بها] .

فاعلم ـ نوَّر ٱلله بصيرتي وبصيرتَك بنور هداه ، وسلك بي وبك سبيل ٱلنَّجاة ـ : أنَّ جميع ما ورد من ذلك يجب ٱلإيمان بأنه من عند ٱلله ، جاء به رسول ٱلله ﷺ ، مع ٱعتقاد تنزيهه تعالىٰ عمَّا دلَّ عليه ظاهرُهُ من ٱلمعنىٰ ٱلمحال عقلاً ونقلاً ؛ لأنَّ هٰذا من ٱلمُتَشابِه ٱلذي ٱستأثر ٱلله تعالىٰ بعلمه ، أو أطلع عليه مَن شاء من خواصّ خلقه ، قال ٱلله عزَّ وجلَّ : ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [آل عمران : ٧] .

ثم إن علماء أهل ٱلسُّنة من ٱلسَّلف وٱلخلف رحمهم الله تعالىٰ ٱختلفوا ؛ هل يؤوَّل ذلك ٱلظاهر تأويلاً إجمالياً ؛ وهو تنزيه ٱلله تعالىٰ عمَّا دلَّت عليه ظواهِرُها من ٱلمعنىٰ ٱلمحال ، أو يؤوَّل تأويلاً تفصيليّاً مع ٱلاتفاق منهم بأجمَعِهم بأنَّه من عند ٱلله جاء به رسول ٱلله ﷺ ؟

---

(١) أخرجه ٱلإمام مسلم في « صحيحه » ، كتاب القدر ، باب تصريف ٱلله تعالىٰ ٱلقلوب كيف شاء ، رقم (٢٦٥٤) .

فذهب إلى ٱلأول : ٱلسَّلف ، ويعبَّرُ عنهم بالمفوِّضة[1] ؛ إيثاراً للطريق ٱلأسلم .

وذهب إلى ٱلثاني : ٱلخلف ، ويعبَّرُ عنهم بالمؤوِّلة[2] ؛ سلوكاً للطريق ٱلأحكم ؛ أي : ٱلأكثر إحكاماً بالنسبة إلى دفع ٱلشُّبَهِ عن ٱلعقيدة.

---

(١) وٱلغالب عليهم أن يؤولوا ٱلآيات ٱلمتشابهة تأويلاً إجمالياً بالإيمان بها ، وٱعتقاد أن لها معنى لا نعلمه يليق بجلال ٱلله وعظمته ليست من صفات ٱلمخلوقين بلا تعيين معنى خاصّ ؛ بأن يقولوا : بلا كيفٍ ولا معنى ، أو على ما يليق بالله ، وهـٰذا يقال له : تأويل إجمالي .

قال ٱلحافظ ٱلبيهقي : فأما ٱلاستواء ؛ فالمتقدمون من أصحابنا رضي الله عنهم كانوا لا يفسرونه ولا يتكلمون فيه ، وقال أيضاً في موضع آخر : وحكينا عن ٱلمتقدمين من أصحابنا ترك ٱلكلام في أمثال ذلك مع ٱعتقادهم نفي ٱلحد وٱلتشبيه وٱلتمثيل عن ٱلله ، ثم أسند إلى أبي داود قوله : (كان سفيان ٱلثوري وشعبة وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وشريك وأبو عوانة لا يحدُّون ولا يشبِّهون ولا يمثِّلون يروون ٱلحديث لا يقولون : كيف ، وإذا أجابوا ؛ فبالأثر) . ينظر « ٱلأسماء وٱلصفات » (ص ٤٠٧ ـ ٤٢٦ ـ ٤٥٣) .

(٢) وهم ٱلذين جاؤوا بعد ٱلسلف ، وهم يؤوِّلونها تفصيلاً بتعيين معانٍ لها مما تقتضيه لغة ٱلعرب ، ولا يحملونها على ظواهرها أيضاً كالسلف ، فيقولون : ٱستوى ؛ أي : قهر ، ومَن قال : ٱستولى ؛ فالمعنى واحد ؛ أي : قهر ؛ لذلك قال ٱلحافظ ٱلبيهقي : وأصحاب ٱلحديث فيما ورد به ٱلكتاب وٱلسنة من أمثال هـٰذا ـ يعني : ٱلمتشابه ـ ولم يتكلم أحد من ٱلصحابة وٱلتابعين في تأويله على قسمين : =

فهم متَّفقون على تنزيهه تعالىٰ عن ٱلمعنىٰ ٱلمحال ٱلذي دلَّ عليه ذلك ٱلظَّاهر.

وإنما ٱختلفوا في تعيين مَحمَلٍ له معنىً صحيح، وعدم تعيينه، ومنشأُ ذلك ٱلخلاف: قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٧].

فالأوَّلون: يقفون على ٱلجلال[1]، ويبتدئون بالجملة بعدها، وهٰذا ٱلقول هو ما عليه ٱلأكثرون من ٱلصحابة فمَن بعدَهُم، وهٰذا أصح ٱلروايات عن ٱبن عباس[2].

= منهم من آمن به ولم يؤوِّله، ووَكَلَ علمه إلى ٱلله، ونفى ٱلكيفية وٱلتشبيه عنه.

ومنهم مَن قَبِلَه وآمن به، وحمله على وجه يصحّ ٱستعماله في ٱللغة ولا يناقض ٱلتوحيد. ينظر «ٱلاعتقاد» (ص ٧٢).

(١) أي: لفظ ٱلجلالة في ٱلآية.

(٢) ٱلمراد بالنفي في ٱلآية عن غير ٱلله تعالىٰ: هو ٱلعلم بوجبة ٱلقيامة، ليس ٱلعلمَ بتأويل ٱلمتشابه في ٱلصفات، فأما ما كان من قبيل آية ٱلاستواء؛ فيجوز للعلماء أن يعرفوه، ويؤيد هٰذا: ما رواه مجاهد عن ٱبن عباس أنه قال: (أنا ممن يعلم تأويله) كما في «تفسير الطبري» (٣/ ١٨٣)، وانظر «ٱلدر ٱلمنثور» (٢/ ١٥٢).

وقال ٱلمحدث ٱلحافظ ٱلفقيه ٱلحنفي مرتضى ٱلزبيدي في «شرحه» نقلاً عن كتاب «ٱلتذكرة ٱلشرقية» للقشيري ما نصه: وأما قول ٱلله عزَّ وجلَّ: =

والآخرون : يقفون على : ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ﴾ ، وتكون جملة : ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ حالاً أو مستأنفةً ، وعلىٰ هٰذا طائفةٌ قليلةٌ من ٱلسَّلف كمجاهد وٱلضَّحاك ، وهو روايةٌ عن ٱبن عباس .

وقال ٱلنووي[1] : إنَّه ٱلأصح ؛ لأنه يبعد أن يخاطب ٱلنَّاس بما لا سبيل لأحدٍ من ٱلخلف إلىٰ معرفته ، وقال ٱبن ٱلحاجب : إنَّه ٱلمختار .

فالتفويض إلىٰ ٱلله عَزَّوَجَلَّ من غير تعرُّضٍ للفحص عن ٱلمراد من ذلك ٱلمتشابه كمال ٱلعبوديَّة في ٱلعبد ، ولهٰذا ٱختاره ٱلسَّلف .

والتَّعرُّض لتفسيره وتأويله كما ٱختاره ٱلخلف عبادةٌ في ٱلعبد ، إلا أنَّ ٱلعبوديَّة أقوىٰ من ٱلعبادة .

وَأَيضـًا : فتنزيه ٱلله تعالىٰ عمَّا دلَّ عليه ظاهِرُه من ٱلمعنىٰ ٱلمحال ، وتفويض معناه ، ٱلمراد منه إليه أسلم للدِّين ، وأثبت لرسوخ ٱليقين ، وأشبه بهدي ٱلسَّلف ٱلمتَّقين .

= ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ ؛ إنما يريد به وقتَ قيام ٱلساعة ، فإن ٱلمشركين سألوا ٱلنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عن ٱلساعة أيان مرساها ومتىٰ وقوعها ، فالمتشابه إشارة إلىٰ علم ٱلغيب ، فليس يعلم عواقب ٱلأمور إلا ٱلله ، ولهٰذا قال : ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ﴾ أي : هل ينظرون إلا قيام ٱلساعة . ينظر «إتحاف ٱلسادة ٱلمتقين» (٢ / ١٠٨) .

(١) ينظر «شرح صحيح مسلم» (١٦ / ٢١٨) .

فعليك ـ يا أخي ـ بالاهتداء بهم ، والاقتداء بمذهبهم ، وتمسَّكْ بقوله عزَّ مِن قائلٍ خبيرٍ : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى : ١١] ، فإنَّ في الاقتصار على ما تضمَّنه كفايةٌ لمن مُنِحَ سلوك سبيل الهداية .

والحاصل : أن الذي ينبغي اعتمادُهُ ويتأكَّد على أمثالنا : أنَّه يجب الإيمان بأنَّه تعالى استوى على العرش مع الحكم بأنَّه ليس كاستواء الأجسام على الأجسام من التَّمكن والمماسَّة والمحاذات ، بل بمعنى يليق به ، هو سبحانه وتعالى أعلم .

وكذلك كل ما ورد مما ظاهره الجسمية ، كالإصبَع والقدم واليد والوجه ونحو ذلك ، مما يجب الإيمان به ، مع اعتقاد أنَّها كُلَّها صفاتٌ لله عز وجل لا بمعنى الجارحة ، بل بمعنى يليق به ، وهو سبحانه أعلم به ، كما دَرَجَ عليه سلفُ الأمة رضوان الله تعالى عليهم .

وهذا هو الذي أختارُه وأعتقِدُه وأميلُ إليه وأوصي مَنِ استنصحني بلزومه وأحثُّه عليه[1] .

۞ ۞ ۞

---

(١) والسلامة : أن يعتقد المسلم معتقد السلف ، فيثبت لله تعالى ما أثبته لنفسه من الصفات ، ولا يفسر ، مع اعتقاد أنَّ لهذه النصوص التي يتوهم منها التشبيه الواردة في كتاب الله تعالى وفي صحيح سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم معاني صحيحة لا نعلم حقيقتها ، وهذا معتقد السلف . =

= فإن قيل : فما الشأن في قول كثير من الناس « يد بالمعنىٰ الحقيقي » ، أو « قدم بالمعنىٰ الحقيقي » ، أو « إصبع علىٰ الحقيقة » ، وهل يجوز ذلك في حق الله تعالىٰ أم لا ؟

قلنا : إن قصدوا بقولهم « حقيقة » ، أو « علىٰ الحقيقة » بمعنىٰ ثابتة ، فهـٰذا حق لا ريب فيه ، فإنَّ الشرع ورد بإثباتها ، وقد جاء في « لسان العرب » إطلاق الحق مقابل الباطل ، قال ابن منظور : « الحقُّ : نقيض الباطل » .

وإن قصدوا بقولهم : « حقيقة » ما يقابل المجاز ، فقد جمعوا في كلامهم بين ادعائين : الأول : قولهم بأنَّ الصفات معلومة المعنىٰ ، والثاني : قولهم بأنَّ الصفات تُحمل علىٰ الحقيقة المقابلة للمجاز .

فتقول لهم : ماذا تريدون بقولكم : « معلومة » هل هي معلومة عندنا أم عند الله ؟

فإن كان المراد أنَّها معلومة عند الله ؛ أي : لها معنىٰ استأثر الله بعلمه ، فلا يُخالفكم في ذلك أحد من أهل السنة الذين تُشنِّعون عليهم ، فإنَّ الله بكل شيءٍ عليم ، والكلام إنَّما هو في علمنا نحن ، فهل نحن نعلم معاني الصفات أم نَكِلُ علمها إلىٰ الله ؛ فإن قالوا : معلومة عندنا ، فنقول لهم : فسِّروا لنا هـٰذه الصفات ، وبينوا لنا معانيها ، ولا نكلفكم بيان الكيفيات ؛ لأنَّكم تدَّعون جهلها وتفويضها .

وأمَّا نحن فنقول : إنَّه لا معنىٰ حقيقي لليد غير الجارحة المجسمة التي لها طول وعرض وعمق ، وتشغل حيزاً من المكان ؛ أي : أنَّه ينطبق عليها تعريف الجسم ، وهـٰذا المعنىٰ مستحيل في حق الله تعالىٰ .

فإن قالوا : هي يد بالمعنىٰ الحقيقي اللغوي ، وليست جسماً ، ولا جارحةً . =

= قلنا لهم : قد جئتم بما لا يُعرف في اللغة ، فإن أصروا على قولهم بعد البيان فهم مكابرون لا يستحقون أن يناقشوا.

أمّا من خالفنا في دعوانا ، وقال بوجود معنى حقيقي لليد معلوم عنده غير الجارحة ، فإنّا نطالبه ببيانه ، وإثبات نسبته إلى اللغة ، والواجب عليه أن يبرهن عليه ، وإن كان لا يعلم ، فليكف عن الحديث في أعظم مسائل الدين بغير علم ، وليعلم أنّه يتكلم في ذات الله تعالى وتقدّس.

وأختم الكلام بقولين من الأئمة العظام حيث يقول سفيان بن عيينة رحمه الله : ما وصف الله تبارك وتعالى به نفسه في كتابه ، قراءته تفسيره ، وليس لأحد أن يفسّره بالعربية ، ولا بالفارسية.

وقال الإمام المحدث الفقيه محمد بن الحسن الشيباني رحمه الله : اتفق الفقهاء كلهم ، من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفة الرب عز وجل من غير تفسير ، ولا وصف ، ولا تشبيه ، فمن فسر اليوم شيئاً من ذلك ؛ فقد خرج عما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم ، وفارق الجماعة ، فإنّهم لم يصفوا ، ولم يفسرا ، بل أفتوا بما في الكتاب والسنة ، ثم سكتوا.

فإن قيل : سلمنا أنَّ السلف كانوا لا يفسرون ، بل نهوا عن التفسير كما في قول الإمام محمد بن الحسن وسفيان ، ولكن هل جاء عن العلماء أنَّ المعنى الظاهر غير مراد ؟ وأنّه مستحيل في حق الله تعالى ؟

قلنا : نعم ، تصريحاً وتلميحاً. =

= فمن التصريح قول الإمام الغزالي رحمه الله : وقد تحزَّب الناس فيه ، فضلَّ فريقٌ وأجروه على الظاهر ، وتبعهم آخرون إذ تردَّدوا فيه ، وإن لم يجزموا ، وفاز من قطع بنفي الاستقرار ، فإن تردَّد في مجمله ورآه فلا يعاب عليه.

وقال ابن الجوزي رحمه الله رداً على ثلاثة رماهم بالتشبيه والتجسيم ؛ وهم أبو عبد الله بن حامد البغدادي ، والقاضي أبو يعلى الفرَّاء الحنبلي ، وابن الزاغواني : وقد أخذوا بالظاهر في الأسماء والصفات... ولم يلتفتوا إلى النصوص الصارفة عن الظواهر إلى المعاني الواجبة لله تعالى ، ولا إلى إلغاء ما توجبه الظواهر من سمات الحَدَث ، ولم يقنعوا بأن قالوا : « صفة فعل » حتى قالوا : « صفة ذات » ، ثم لما أثبتوا أنَّها صفات ، قالوا : لا نحملها على توجيه اللغة مثل : « يد » على معنى نعمة وقدرة ، ولا « مجيء وإتيان » على معنى برٍّ ولطيف ، ولا « ساق » على شِدَّة ، بل قالوا : نحملها على ظواهرها المتعارفة ، والظاهر هو المعهود من نعوت الآدميين ، والشيء إنَّما يُحمل على الحقيقة إذا أمكن ، فإن صرف صارف حمل على المجاز ، ثم يتحرجون من التشبيه ، ويأنفون من إضافته إليهم ، ويقولون : نحن أهل السنة والجماعة ، وكلامهم صريح في التشبيه.

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله : قوله : « ينزل الله تبارك وتعالى كل ليلة » قد اختلف في معنى النزول على أقوالٍ : فمنهم من حمله على ظاهره وحقيقته وهم المشبهة ، تعالى الله عن قولهم ، ومنهم من أنكر صحة الأحاديث الواردة في ذلك جملة ، وهم الخوارج والمعتزلة ، وهو مكابرة ، ومنهم مَن أوَّلَه ، ومنهم من أجراه على ما ورد مؤمناً به على طريق الإجمال ، منزِّهاً الله تعالى عن الكيفية والتشبيه ، وهم جمهور السلف ،=

= ونقله البيهقي وغيره عن الأئمة الأربع والسفيانَين والحمَّادَين والأوزاعي والليث وغيرهم ، وهٰذا القول هو الحق ، فعليك إتباع جمهور السلف ، وإياك أن تكون من أصحاب التأويل .

فانظر إلىٰ هٰذا الإمام المحدث الفقيه المدقق المحقق كيف يقول : « فمنهم من حمله علىٰ ظاهره وحقيقته وهم المشبِّهة » ، وبمثل قوله قال أئمة كثير .

وأمَّا التلميح فأكثر من أن يحصر ، فحيث وقفتَ علىٰ نفي الجوارح والأبعاض والتجسيم في أي كتاب من كتب العقائد ، وفي أي مصنفٍ من مصنفات أهل العلم فهو تلميحٌ قريب من التصريح ، بأنَّ المراد بهٰذه النصوص غير الظاهر ، إذ ظاهرُ اليد الجارحة ، وظاهر القدم الجارحة .

انظر : « فتح الباري » (٣/ ٣٠) ، و« دفع شبه التشبيه » (ص ١٠٠) ، و« المنخول في تعليقات الأصول » (١/ ٣٦٥) ، و« القول التمام في إثبات التفويض مذهباً للسلف الكرام » (ص ٧٧ ـ ٧٨) بتصرف .

فصل

[مذهب السلف والخلف على التأويل إجمالاً أو تفصيلاً]

وٱعلم : أنَّ ٱلحامل لكلٍ من ٱلسَّلف وٱلخلف علىٰ ٱلتَّأويل إجمالاً أو تفصيلاً أمران :

أحدهما : ما ثبت من وجوب تنزيه ٱلباري سبحانه وتعالىٰ عما دلَّت عليه ظواهر تلك ٱلنصوص بالأدلة ٱلقطعيَّة ٱلعقلية ٱلتي لا تحتمل ٱلتَّأويل وٱلأدلة ٱلنقلية لا تعارضها ؛ فوجب ردُّها إلىٰ ما يوافقها ؛ لأنَّ ٱلأدلة ٱلعقلية أصلٌ للنقلية ؛ لتوقف ٱلنقلية علىٰ ما يتوقف علىٰ ٱلعقل ؛ من وجود ٱلباري سبحانه وتعالىٰ ، وكونه مُرسِلاً للرسل ، ومعرفة ٱلمعجزة ٱلدالة علىٰ صدق ٱلمبلغ ، وإنما ثبتت هٰذه ٱلدلالة بالعقل ، فلو أتىٰ ٱلشَّرع بما يكذِّبُ ٱلعقل وهو شاهدُه ؛ لبطل ٱلشَّرع وٱلعقل معاً .

وثانيهما : أن ٱلمتشابِه من ٱلأدلة ٱلنقلية ٱلمحتملة للتَّأويل لا يعارض ٱلمحكم منها ٱلذي لا يحتمل ٱلتَّأويل ؛ كقوله تعالىٰ : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ : ١١] ، فيُحملُ ٱلمتشابه علىٰ ما يوافق ٱلمحكم ٱلذي هو أصل ٱلكتاب ، فيرجع إليه متشابهُهُ .

قال بعض ٱلمحققين : ومَن تأمَّل ٱلآيات وٱلأحاديث ؛ وجدها ظاهرةً للتَّأويل ؛ لأنَّ ظاهرها بدونه يوهم ٱلتَّناقض ، فوجب ٱلمصير إليه

صوناً عن ذلك ٱلإيهام ، ألا ترىٰ إلىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف : ٥٤] مع قوله : ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق : ١٦] ، ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد : ٤] ، ومع خبر : « لو أدليتم حبلاً ؛ لوقع علىٰ ٱلله »[1] ؛ فأحد تلك ٱلنصوص يجب تأويله ؛ إذ لا يمكن أحداً أن يقول بظواهر تلك ٱلنصوص جميعِها ، وإذا وجب تأويل بعضها ؛ وجب تأويل كلِّها ؛ إذ لا قائل بالفرق . انتهىٰ

قال حجة ٱلإسلام ٱلغزالي رحمه الله تعالىٰ : (ما أسهل علىٰ ٱلعارف إرشادُ ٱلجاهلِ ؛ بأن يقول : إن كان ٱلمراد من ٱلنُّزول إلىٰ ٱلسَّماء ٱلدنيا ليُسمِعَنا نداءَه وقوله ؛ فما سمعنا ، فأي فائدةٍ في نزوله .

---

(١) لم أجده بهٰذا ٱللفظ ، ولكن ذكره ٱلإمام ٱلترمذي بلفظ : « لو أنكم دلَّيتم رجلاً بحبلٍ إلىٰ ٱلأرض ٱلسفلىٰ ؛ لهبط علىٰ ٱلله » ، ولكن تأوَّله علماء ٱلحديث علىٰ أن علم ٱلله شامل لجميع ٱلأقطار ، وأنه منزه عن ٱلمكان ، فالشاهد هو في ٱستدلال ٱلعلماء به علىٰ نفي ٱلمكان عن ٱلله ، قال ٱلحافظ ٱبن حجر ٱلعسقلاني : معناه أن علم ٱلله يشمل جميع ٱلأقطار ، فالتقدير : لهبط علىٰ علم ٱلله ، وٱلله سبحانه وتعالىٰ تنزه عن ٱلحلول في ٱلأماكن ، فالله سبحانه كان قبل أن تحدث ٱلأماكن . انتهىٰ ، نقله عنه تلميذه ٱلحافظ ٱلسخاوي في « ٱلمقاصد ٱلحسنة » (ص ٣٤٢) ، وذكره ٱلحافظ ٱلمؤرخ محمد بن طولون ٱلحنفي وأقرَّ عليه في « ٱلشذرة في ٱلأحاديث ٱلمشتهرة » (٢ / ٧٢) ، وكذلك ٱستدل به أبو بكر ٱبن ٱلعربي ٱلمالكي في « شرحه علىٰ سنن ٱلترمذي » (١٢ / ١٨٤) علىٰ أن ٱلله موجود بلا مكان .

وقال أيضاً : في ٱلاستواء على ٱلعرش بطريق ٱلقهر وٱلاستيلاء[(١)] كما قال غيره من ٱلأئمة[(٢)] ، قال : وٱضطر أهل ٱلحق إلى هذا ٱلتَّأويل كما ٱضطرَّ أهل ٱلباطل إلى تأويل قوله تعالى : ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد : ٤] ؛ إذ حمل بالاتفاق على ٱلإحاطة وٱلعلم[(٣)] ، وقوله ﷺ :

---

(١) ينظر « إحياء علوم ٱلدين » (١ / ١٢٨).

(٢) قال سيف ٱلدين ٱلآمدي : إن تفسير ٱلاستواء بالاستيلاء وٱلقهر هو من أحسن ٱلتَّأويلات وأقربها ، وقال أيضاً محمد بن إبراهيم ٱلشهير ببدر ٱلدين ٱبن جماعة : فقوله تعالى : ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾ يتعين فيه معنى ٱلاستيلاء وٱلقهر ، لا ٱلقعود وٱلاستقرار.

وقال ٱلشيخ قاسم بن قطلوبغا ٱلحنفي في « حاشيته » : أجاب أهل ٱلحق بأن ٱلاستواء مشترك بين معان ، وٱلمعنى ٱلأليق : ٱلاستيلاء. ينظر « أبكار ٱلأفكار » (١ / ٤٦١) ، و« إيضاح ٱلدليل » (ص ١٠٣) ، و« ٱلمسايرة » (ص ٤٦).

(٣) قال ٱلقرطبي رحمه الله : ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ يعني : بقدرته وسلطانه وعلمه ، وقد جمع في هذه ٱلآية بين : ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ وبين : ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ ، وٱلأخذ بالظاهرين تناقض ، فدلَّ على أنه لا بد من ٱلتأويل ، وٱلإعراض عن ٱلتأويل ٱعتراف بالتناقض.

وقال أبو ٱلسعود ٱلحنفي : هو تمثيل لإحاطة علمه تعالى بهم ، وتصوير لعدم خروجهم عنه أينما داروا.

وفي « ٱلدر ٱلمنثور » : أخرج ٱبن أبي حاتم عن ٱبن عباس في قوله : ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ قال : عالمٌ بكم أينما كنتم. =

« قلب ٱلمؤمن بين إصبَعين من أصابع ٱلرحمٰن »[1] على ٱلقدرة وٱلقهر، ومثل قوله صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « ٱلحجر ٱلأسود يمين ٱلله في أرضه »[2] على ٱلتَّشريف وٱلإكرام.

إذ لو ترك على ظاهره ؛ لزم منه ٱلمحال ، فكذلك ٱلاستواء لو ترك على ٱلاستقرار وٱلتَّمكُّن ؛ للزم كون ٱلمتمكِّن جِسماً مماسّاً إما مثله أو أكبر أو أصغر ، وذلك محال ، وما يؤدِّي إلى ٱلمُحَال محال ، تعالى ٱلله عن ذلك ٱلمقال) انتهى

= وقال ٱلإمام ٱلرازي : هٰذه ٱلمعية إما بالعلم ، وإما بالحفظ وٱلحراسة ، وعلى ٱلتقديرين : فقد ٱنعقد ٱلإجماع على أنه سبحانه ليس معنا بالمكان وٱلجهة وٱلحيز فإذن قوله : ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ لا بد فيه من ٱلتأويل ، وإذا جوزنا ٱلتأويل في موضع ؛ وجب تجويزه في سائر ٱلمواضع . ينظر « تفسير ٱلفخر ٱلرازي » (١ / ٤٤٠٠) ، و« ٱلجامع لأحكام ٱلقرآن » (١٧ / ٢٣٧) ، و« تفسير أبي ٱلسعود » (٨ / ٢٠٤) ، و« ٱلدر ٱلمنثور » (١٤ / ٢٦١) .

(١) سلف تخريجه ، وهو في « مسلم » .

(٢) ٱلشيخ أبو بكر رَحِمَهُ ٱللهُ سَلَّم جَدَلاً لمن يحتج بهٰذا ٱلحديث ، وإلَّا فهو لا يحتجُّ به كما صرَّح بذلك ، وٱلحديث رواه ٱبن خزيمة في « صحيحه » (٢٧٣٧) ، وٱلطبراني في « ٱلأوسط » (٥٦٣) ، وٱلخطيب في « تاريخ بغداد » (٦ / ٣٢٦) ، وٱنظر « كشف ٱلخفاء » (ص ١١٠٩) لتجد أن هٰذا ٱلحديث لا يحتج به .

هٰذا ٱلذي قاله ٱلإمام حجة ٱلإسلام قريب مما قالَهُ شيخه ٱلمحقق ٱلمدقق إمام ٱلحرمين[1] رحمه الله تعالى حيث قال : (فإن قالوا : ما ٱلذي حملكم علىٰ تأويل ٱلظاهر ؛ قلنا : ٱلذي حملكم أيضاً علىٰ تأويل ٱلظاهر في قوله تعالىٰ : ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد : ٤] ، وقوله صلى الله عليه وسلم : « قلب ٱلمؤمن بين إصبَعين من أصابع ٱلرحمٰن » ، وقوله صلى الله عليه وسلم : « ٱلحجر ٱلأسود يمين ٱلله في أرضه »[2] .

يعني : ٱلذي ألجأكم إلىٰ تأويل هٰذه ٱلمذكورات لاستحالة ظاهرها في ٱلعقل ألجأنا إلىٰ تأويل غيرها ؛ لاستحالة ظاهرها أيضاً في ٱلعقل ٱلذي عُرف ٱلله عز وجل به ، وبه يتعلق ٱلتَّكليف ؛ إذ ٱعتقاد ٱلظواهر يلزم منه ٱلتَّجسيم وٱلحدوث وغير ذلك من ٱلنَّقص ٱلذي هو من سمات ٱلمخلوقين ، ولا يجوز علىٰ ٱلخالق ٱلموصوف بالكمال ٱلذي ليس كمثله شيء وهو ٱلمتعال عن ٱلنَّظير وٱلمثال) انتهىٰ

وما أحسن ما قاله في بعض ٱلعارفين في عقيدته نظماً : [من الطويل]

---

(١) ينظر « ٱلإرشاد » (ص ٤٢) لإمام ٱلحرمين ؛ وهو عبد ٱلملك بن عبد ٱلله بن يوسف بن محمد بن حيوية ٱلجويني ، ويكنىٰ بأبي ٱلمعالي ، ويلقب بإمام ٱلحرمين ، توفي رحمه الله سنة (٤٧٨هـ) ، ودفن بداره . ينظر « طبقات ٱلشافعية ٱلكبرىٰ » (٥/ ١٦٥) .

(٢) سبق تخريجهما .

فلستُ حُلوليّاً ولستُ مجسِّماً ولا جهوياً في ٱلعما يتعثَّر
يؤوِّل بعضاً دون بعضٍ كأنَّه بذا مؤمن لكن بذلك يكفر
فليس كمثل ٱلله شيءٌ فلا بعقلك يا هٰذا فإنك تخسر



فصل

[لا يُشبه سبحانه وتعالى شيئاً ولا يُشبهه شيءٌ]

وفي قوله تعالىٰ : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ : ١١] ردٌّ علىٰ ٱلمشبِّهة وٱلمجسِّمة وٱلجهوية ، وعلىٰ ٱلمعطلة[1] ٱلقائلين بنفي ٱلصِّفات ٱلثبوتية ، وفيه أيضاً أصرحُ دليل علىٰ أنَّ ذاته تعالىٰ لا تشبه ٱلذَّوات وصفاته عَزَّوَجَلَّ لا تشبه ٱلصِّفات ؛ لأنه لو حَصلت ٱلمماثلة بينه وبين خلقه ؛ لم يكن واحداً ، فإنَّ ٱلواحد هو ٱلذي لا مثل له ، فلا يشبه سبحانه شيئاً ، ولا يشبهه شيء ؛ أي : لا يماثله ، فليس كذاته تعالىٰ ذات ، ولا كاسمه ٱسم ، ولا كصفته صفة إلا من جهة موافقة ٱللفظ ، وجلَّت ٱلذات ٱلقديمة أن تكون لها صفة حادثة كما ٱستحال أن يكون للذات ٱلمُحدَثَة صفة قديمة .

---

(١) قال ٱلعلامة ٱلدسوقي في « حاشيته » : فإن قلت : ما فائدة وصف ٱلمعطلة بقوله : ٱلنافين لجميع ٱلصفات ؟ قلت : فائدته ٱلتنبيه علىٰ أن ٱلمعطلة صنفان : صنف عطلت ٱلباري عن ٱلصفات ؛ أي : نفتها عنه وهو ٱلمراد هنا ، وصنف عطلت ٱلمصنوعات عن ٱلصانع ، وقالوا : لا صانع لها وإنما هي أرحام تدفع وأرض تبلع وما يهلكنا إلا ٱلدهر . ينظر « حاشية ٱلدسوقي علىٰ أم ٱلبراهين » (ص ١٢٨) .

وقد سُئِلَ بعض ٱلعارفين عن ٱلله تعالىٰ فقال : إن سألتَ عن ذاته ؛ فليس كمثله شي ، وإن سألت عن صفاته ؛ فهو أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، وإن سألت عن ٱسمه ، فهو ٱلله ٱلذي لا إلٰه إلا هو عالم ٱلغيب وٱلشَّهادة هو ٱلرحمٰن ٱلرحيم ، وإن سألت عن فعله ؛ فكل يوم هو في شأن[1] .

وقال أبو إسحاق ٱلإسفراييني[2] : (جمع أهل ٱلحق جميع ما قيل في ٱلتوحيد في كلمتين :

---

(١) وقد ذكر ٱلشيخ أبو ٱلمحاسن محمد ٱلقاوقجي ٱلحنفي نفس هٰذا ٱلسياق من ٱلسؤال وٱلجواب : إذا قال لك : ما ٱلله ؟ فقل : إن سألت عن ٱسمه ؛ فالله ٱلرحمٰن ٱلرحيم له ٱلأسماء ٱلحسنىٰ ، وإن سألت عن صفته ؛ فحياته ذاتية أزلية ، وعلمه محيط بكل شيء ، وإن سألت عن فعله ؛ فخلق ٱلمخلوقات ووضع كل شيء موضعه ، وإن سألت عن ذاته ؛ فليس بجسم ولا عرض وليس مركباً ، وكل ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك . ينظر « ٱلاعتماد في ٱلاعتقاد » (ص ٧) .

(٢) ركن ٱلدين أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم ، ٱلأصولي ٱلشافعي ، وكان كثير ٱلاجتهاد في ٱلعبادة ، مبالغاً في ٱلورع ، ٱتفقت ٱلأمة علىٰ تبجيله وتعظيمه ، له تصانيف عديدة ؛ منها : « ٱلجامع في أصول ٱلدين وٱلرد علىٰ ٱلملحدين » ، توفي رحمه ٱلله تعالىٰ سنة (٤١٨هـ) . ينظر « وفيات ٱلأعيان » (١ / ٢٨) ، و« ٱلعبر » (٣ / ١٣٠) ، و« طبقات ٱلشافعية » (٤ / ٢٥٦ ـ ٢٦٢) .

أحدهما : ٱعتقاد أنَّ كلَّ ما يتصور في ٱلأفهام فالله تعالىٰ بخلافه[1] ؛ لأن ٱلذي يتصور في ٱلأفهام مخلوق لله تعالىٰ وٱلله خالقه.

والثّانيَة: ٱعتقاد أنَّ ذاته تعالىٰ ليست مشبهة لذات ولا معطَّلة عن ٱلصّفات) انتهىٰ

وقال ٱلإمام ٱلشافعي رحمه الله تعالىٰ ـ علىٰ ما نقله ٱلصفوي في « شرح ٱلزبد »[2] ، وٱلفشني في « شرح ٱلأربعين »[3] ـ : (مَنِ ٱنتهض لمعرفة

---

(١) ونظير ذلك ما نقله ٱلقشيري في « رسالته » عن أبي علي ٱلروذباري حيث قال : وأخبرنا محمد بن ٱلحسين ، قال : سمعت أبا بكر ٱلرازي يقول : سمعت أبا علي ٱلروذباري يقول : كل ما توهمه متوهم بالجهل أنه كذلك ، فالعقل يدل علىٰ أنه بخلافه ؛ إذ ٱلمتوهم يتوهم ٱلأجسام. انتهىٰ من « ٱلرسالة » و« شرحها » [ص٥٧] للقاضي زكريا رحمه الله تعالىٰ . **كذا بخط ٱلمؤلف لوحة (٣/أ).**

(٢) « فتح ٱلصمد بشرح صفوة ٱلزبد » ، وهو لمحمد بن إبراهيم ٱلصفدي تلميذ ٱلقاضي زكريا رحمه الله تعالىٰ ، و(ٱلصفوي) تحريف عن (ٱلصفدي) . ينظر « إيضاح ٱلمكنون » (٤/ ١٦٦) ، و« ٱلأعلام » (١/ ٢٦١).

(٣) « المجالس ٱلسنية في ٱلكلام علىٰ ٱلأربعين ٱلنووية » (ص ١٨) ، وهو لأحمد بن حجازي بن بدير ، شهاب ٱلدين ٱلفشني ، فقيه شافعي من ٱلمشتغلين بالحديث ، نسبته إلىٰ (ٱلفشن) بمصر ، توفي سنة (٩٧٨هـ) ، له من ٱلمصنفات : « تحفة ٱلحبيب بشرح نظام غاية ٱلتقريب » ، و« مواهب ٱلصمد في حل ألفاظ ٱلزبد » . ينظر « ٱلأعلام » (١/ ١٠٩).

مدبره فانتهىٰ إلىٰ موجود ينتهي إليه فكره ؛ فهو مشبه ، ومَنِ ٱطمأن إلىٰ ٱلعدم ٱلصرف ؛ فهو معطل ، ومَنِ ٱطمأنَّ لموجود وٱعترف بالعجز عن إدراكه ؛ فهو موحد) انتهىٰ

ولهٰذا قالوا : ٱلمشبِّه عابد وثن ، وٱلمعطِّل عابد عدم .

وبالجملة : فقد صرَّحت ٱلدلائل ٱلسمعية وٱلقواطع ٱلعقلية بالردِّ علىٰ ٱلمجسِّمة وٱلمشبِّهة وٱلجهويَّة ، وقد ٱنتظموا في سلك قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعام : ٩١] .

وقد أعظم ٱلله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ٱلمنَّة علىٰ أهل ٱلتوحيد ، وأجزل ٱلنِّعمة علىٰ أهل ٱلتَّحقيق ، حيث أعتق أسرارهم عن رقٍّ عبودية ما له مثل ، وعبادةِ ما له شكل ؛ فاحذر يا أخي كل ٱلحذر من ٱعتقاد ٱلتَّشبيه وٱلتَّمثيل وٱلتَّجسيم وٱلتَّعطيل ، وٱحذر أيضاً من ٱلتَّفكُّر في ذات ٱلله تعالىٰ وصفاته ؛ فإن ذلك منهيٌّ عنه .

ففي ٱلحديث ٱلشَّريف : « تفكَّروا في آلاء ٱلله ، ولا تتفكَّروا في ٱلله ؛ فإنكم لن تقدروا قدره »[1] .

وإيَّاك وكثرة ٱلخوض وٱلجدال في معاني ٱلنصوص ٱلمتشابهات ، ففي ٱلحديث ٱلصحيح عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أنها قالت : تلا رسول ٱلله

(١) أخرجه ٱلطبراني في « ٱلمعجم ٱلأوسط » (٦ / ٢٥٠) .

صلى الله عليه وسلم هذه الآية : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾ [آل عمران : ٧] .

قالت : قال رسول ٱلله صلى الله عليه وسلم : « إذا رأيت ٱلذين يتبعون ما تشابه منه ؛ فأولـٰئك ٱلذين سمَّىٰ ٱلله ، فاحذروهم »[١] .

فإن قيل : فما ٱلفائدة وٱلحال فيما ذكر في نزول ٱلمتشابهات .

أجيب : بأن فائدته إظهار عجز ٱلخلق ، وقصور فهمهم عن كلام ربهم ، وتعبدهم بإيمانهم ، فيقول ٱلراسخون في ٱلعلم منهم : آمنا به كل من عند ربنا .



(١) أخرجه ٱلبخاري في « صحيحه » كتاب التفسير ، باب من ٱنتظر حتىٰ تدفن ، رقم (٤٥٤٧) ، ومسلم في « صحيحه » كتاب العلم ، باب ٱلنهي عن ٱتباع متشابه ٱلقرآن وٱلتحذير من متبعيه ، رقم (٢٦٦٥) .

فصل
[في نفي المثلية عن الله عقلاً ونقلاً]

وقد تبَيَّن لك بما ذكرناه ، وٱتَّضَح لك بما حررناه ، صحةَ ما قد قدَّمناه من ٱستحالة ٱلجسمية ولوازمها ؛ من ٱلتَّمكن ، وٱلجهة ، وٱلفوقيَّة ٱلمكانيَّة؛ أخذاً من صريح ٱلآية ٱلمتقدمة ٱلمتضمِّنة لنفي ٱلمثليَّة .

هٰذا من جهة ٱلنَّقل .

وأما من جهة ٱلعقل ؛ فلأن ٱلجهات حادثة بإحداث ٱلإنسان ونحوه ، وقد كان تعالىٰ موجوداً في ٱلأزل للإجماع علىٰ أنَّ ما سوىٰ ٱلله تعالىٰ محدث ، فلو ثبت ٱلتَّمكن وٱلجهة بعد أن لم يكن ثابتاً في ٱلأزل ؛ لحدث في ذاته معنىً لم يكن ثابتاً في ٱلأزل ، فيصير محلّاً للحوادث ، وهو محال ؛ ولأنَّه لو كان في جهة ؛ لكان في مكان ضرورةَ أنَّها ٱلمكان أو ٱلمستلزمةُ له ، ولو كان في مكان ؛ لكان متحيِّزاً ، ولو كان متحيِّزاً ؛ لكان مفتقراً إلىٰ حيِّزٍ ومكان ، فلا يكون واجب ٱلوجود ، وقد ثبت أنَّه واجب ٱلوجود .

فقد بان بهٰذه ٱلأدلة ٱستحالة ٱلتَّمكن وٱلجهة عليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ .

قال بعضهم : ومن أدلّ دليلٍ على ذلك قوله ﷺ : « أقرب ما يكون ٱلعبد من ربه وهو ساجد »[1] ، فإن حال سجوده أبعد من ٱلسَّماء من حال قيامه ونحوه.

فإن قيل : إذا لم يكن تعالىٰ في جهة فوق فما فائدة توجه ٱلعقلاء من ٱلأنبياء وٱلعلماء برفع ٱلأيدي في ٱلدعاء إلىٰ ٱلسَّماء وعروج ٱلنبي ﷺ ؟

فالجواب : أنَّ ذلك ليس لأجل ٱعتقادهم لحلول ٱلربِّ فيها ، بل هو إما تعبد فيكون غير معقول ٱلمعنىٰ كسائر ٱلأمور ٱلتي تعبَّدنا ٱلله سبحانه وتعالىٰ بها ، كغسل أعضاء ٱلوضوء ، وفعل مناسك ٱلحج ، ونحو ذلك من ٱلأمور ٱلتعبُّدية ، وإما لأنها قبلة ٱلدُّعاء إذ منها تتوقع ٱلخيرات وٱلبركات وهبوط ٱلأنوار ونزول ٱلأمطار ، كوضع ٱلجبهة علىٰ ٱلأرض في ٱلسجود وٱلاستقبال إلىٰ ٱلكعبة في ٱلصَّلاة ، فكما لا يقال: إنَّه تعالىٰ في جهة ٱلأرض ولا في جهة ٱلكعبة ، فكذلك أيضاً لا يقال : إنَّه تعالىٰ في جهة ٱلسماء[2] ، وكذلك عروج ٱلنبي ﷺ إلىٰ ٱلسَّماء لا

---

(١) أخرجه ٱلإمام مسلم في « صحيحه » كتاب الصلاة ، باب ما يقال في ٱلركوع وٱلسجود ، رقم (٤٨٢).

(٢) وهٰذا ما قاله كثير من أهل ٱلعلم إن ٱلسماء هي قبلة للدعاء ، وليست مكاناً ومسكناً لله تعالىٰ ينظر ما قاله إمام ٱلهدىٰ أبو منصور ٱلماتريدي رحمه الله في كتابه « ٱلتوحيد » (ص ٧٥) ، وكذلك ما قاله ٱلحافظ ٱلفقيه ٱلسيد محمد =

يدل على أن ٱلله تعالىٰ حالّ فيها ، كما أنَّ خروج موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلىٰ ٱلجبل وسماعه لكلام ٱلله عَزَّ وَجَلَّ عنده ، لا يدُلُّ أنَّ ٱلله تعالىٰ حالّ في ٱلجبل .

فعروج ٱلنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ ٱلسماء إنما كان زيادةً في درجته وعلوِّ منزلته ؛ ليتبيَّن ٱلفرق بينه وبين غيره في ٱلمنزلة وعلوِّ ٱلدَّرجة ، ولينظر إلىٰ ما لم يره بعينه من ٱلمخلوقات كالسَّمٰوات وٱلملائكة وٱلأنبياء وٱختلاف مراتبهم وغير ذلك من ٱلآيات .



= مرتضىٰ ٱلزبيدي في كتابه « إتحاف ٱلسادة ٱلمتقين » (٥ / ٣٤) ، وكذلك ٱلحافظ ٱبن حجر ٱلعسقلاني في « فتح ٱلباري » (٢ / ٢٣٣) ، وٱلشيخ ملا علي ٱلقاري ٱلحنفي في « شرح ٱلفقه ٱلأكبر » (ص ١٩٩) ، وٱلعلامة ٱلبياضي ٱلحنفي في كتابه « إشارات ٱلمرام » (ص ١٩٨) .

فصل

[أقوال المذاهب الأربعة في تنزيه الباري عز وجل]

وٱعلم : أنَّ ما قرَّرتُه لك من مذهب ٱلسَّلف وٱلخلف من تنزيه ٱلباري جلَّ وعلا عما يتبادر للأفهام ، ويخطر للأفكار وٱلأوهام من ظواهر تلك ٱلنصوص ٱلسابق ذكرها ، وما أشبهها من ٱلآيات وٱلأحاديث ٱلتي يعسرحصرها . . هو ما نقله عنهم علماء ٱلأمة من أهل ٱلمذاهب ٱلأربعة ٱلمتفق علىٰ عدالتهم وٱلمجمع علىٰ عدم ضلالتهم ، وها أنا أذكر لك إن شاء ٱلله تعالىٰ من نقولهم ما يطمئن به قلبك ، وينشرح له صدرك ولبك ؛ فأقول :

قال ٱلإمام أبو حنيفة ٱلنعمان بن ثابت رضي الله عنه في « ٱلفقه ٱلأكبر »[1] من رواية أبي مطيع رحمه الله تعالى : (لا يوصف ٱلله تعالىٰ بصفات

---

(١) « ٱلفقه ٱلأكبر » وهو رواية أبي مطيع ، وعرف بـ« ٱلفقه ٱلأبسط » تمييزاً له عن « ٱلفقه ٱلأكبر » برواية حماد بن أبي حنيفة عن أبيه ، وأبو مطيع : هو ٱلحكم بن عبد ٱلله ٱلبلخي صاحب أبي حنيفة ، حدث عن ٱبن عون وهشام بن حسان ، وعنه أحمد بن منيع ، قال ٱلذهبي : كان بصيراً بالرأي ، علامة ، كبير ٱلشأن ، ولكنه واهٍ في ضبط ٱلأثر ، وكان ٱبن ٱلمبارك يعظمه ويجله لدينه وعلمه. =

= وطال كلام ٱلنقلة فيه يرمونه بالإرجاء وٱلتجهم وٱلرأي ، وهي محل بحث ونظر ، حيث قال ٱلإمام ٱلمحدِّث ٱلشيخ تاج ٱلدين ٱلسبكي في رسالته « قاعدة في ٱلجرح وٱلتعديل » : وممّا ينبغي أن يُتفقَّد عند ٱلجرح : حال ٱلعقائد وٱختلافها بالنسبة إلىٰ ٱلجارح وٱلمجروح في ٱلعقيدة ، فجرحه لذلك ، وإليه أشار ٱلرافعيّ بقوله : وينبغي أن يكون ٱلمزكّون بُرءاء من ٱلشحناء وٱلعصبيّة في ٱلمذهب ؛ خوفاً من أن يحملهم علىٰ جرح عدل ، أو تزكية فاسق ؛ وقد وقع هٰذا لكثير من ٱلأئمة ؛ جرّحوا بناء علىٰ معتقدهم ، وهم ٱلمخطئون وٱلمجروحُ مصيب ، ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ : ومن أمثلة ما قدّمنا قول بعضهم في ٱلبخاري : تركه أبو زرعة وأبو حاتم من أجل مسألة ٱللفظ ، فيالله وٱلمسلمين ! أيجوز لأحد أن يقول : ٱلبخاري متروك ، وهو حامل لواء ٱلصناعة ومقدّم أهل ٱلسنة وٱلجماعة ؟ ! ثم يالله وٱلمسلمين ! أتجعل مَمادِحَه مَذامّ ؟ ! فإنّ ٱلحقّ في مسألة ٱللفظ معه ؛ إذ لا يستريب عاقل من ٱلمخلوقين في أنّ تلفّظه من أفعاله ٱلحادثة ٱلتي هي مخلوقة لله تعالىٰ . وإنّما أنكرها ٱلإمام أحمد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لبشاعة لفظها .

قال ٱلخطيب ٱلبغدادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في « تاريخ بغداد » : وكان أحمد ٱبن حنبل يكره للحارث نظره في ٱلكلام وتصانيفه ٱلكتب فيه ويصدّ عنه ، وبنحوه وقع بين ٱلإمام أحمد وٱلإمام ٱلكرابيسي في مسألة ٱللفظ ؛ قال ٱلحافظ ٱلذهبي في « ٱلسير » في ترجمة أبي علي ٱلحسين ٱلكرابيسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : وكان من بحور ٱلعلم ذكيّاً فطناً فصيحاً لسناً ، تصانيفه في ٱلفروع وٱلأصول تدلُّ علىٰ تبحّره ، إلا أنّه وقع بينه وبين ٱلإمام أحمد ، فهُجر لذلك ، وهو أول من فتق=

ٱلمخلوقين ألبتَّة ، وهو يغضب ويرضىٰ ، غضبه عقوبته ، ورضاه ثوابه ، ونَصِفُه كما وصفَ نفسه : أحدٌ ، صمدٌ ، لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد ، حيٌ ، قادر ، سميع ، بصير ، عليم ، يد ٱلله فوق أيديهم ، ليست كأيدي خلقه ، ليست بجارحةٍ ، وهو خالق ٱلأيدي ، ووجهه ليس كوجوه خلقه ، وهو خالق ٱلوجوه ، ونفسه ليس كأنفس خلقه ، وهو خالق ٱلنفوس ، ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورىٰ : ١١].

= ٱللفظ ، ولمّا بلغ يحيىٰ بن معين أنه يتكلم في أحمد قال : ما أحوجه إلىٰ أن يضرب ، وشتمه ، قال حسين في ٱلقرآن : لفظي به مخلوق ، فبلغ قوله أحمد ، فأنكره ، وقال : هٰذه بدعة ، فأوضح حسين ٱلكرابيسي ٱلمسألة ، وقال : تلفظك بالقرآن يعني : غير ٱلملفوظ ، وقال في أحمد : أي شيء نعمل بهٰذا ٱلصبي ؟ إن قلنا : مخلوق ؛ قال : بدعة ، وإن قلنا : غير مخلوق ؛ قال : بدعة ، فغضب لأحمد أصحابه ، ونالوا من حسين ٱلكرابيسي ، وقال أحمد : إنَّما بلاؤهم من هٰذه ٱلكتب ٱلتي وضعوها وتركوا ٱلآثار .

ثم قال ٱلذهبي رحمه الله : ولا ريب أنّ ما ٱبتدعه ٱلكرابيسي ، وحرَّره في مسألة ٱلتلفُّظ ، وأنّه مخلوق هو حقٌّ ، لكن أَبَاهُ ٱلإمام أحمد ؛ لئلّا يُتذرَّعَ به إلىٰ ٱلقول بخلق ٱلقرآن ، فسد ٱلباب ؛ لأنّك لا تقدر أن تفرز ٱلتلفُّظ من ٱلملفوظ ٱلذي هو كلام ٱلله إلا في ذهنك . انتهىٰ

وتوفي ٱلإمام أبو مطيع رحمه الله سنة (١٩٩هـ) . ينظر « ٱلعقيدة وعلم ٱلكلام » (ص ٥٩٧) للعلامة محمد زاهد ٱلكوثري ، و« قاعدة في ٱلجرح وٱلتعديل » (ص ٣٥) ، و« تاريخ بغداد » (٨/ ٢١٤) ، و« ٱلسير » (١٢ / ٨٠) .

أرأيت لو قيل : أين ٱلله ؟ يقال له : كان ٱلله قبل أن يخلق ٱلخلق وٱلمكان ، أو يقال له : كان ٱلله ولم يكن أينٌ ولا خلقٌ ولا شيءٌ وهو خالقٌ كل شيء) انتهى

وعنه أيضاً أنه قال : مَن قال : لا أعرف ٱلله في ٱلأرض هو أم في ٱلسَّماء ؛ فقد كفر ؛ لأنَّ هٰذا ٱلقول يوهم أنَّ للحق مكاناً ، ومن توهم أنَّ للحق مكاناً ؛

فهو مشبِّه ، هٰذا ما نقله عنه أئمة مذهبه ، وهم أعرف بذلك من غيرهم ، ومن نقل عنه خلاف ذلك ؛ فقد وَهِمَ[1] .

وسأل رجل ٱلإمام مالك بن أنس رضي الله عنه عن معنىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه : ٥] ، فقال له مالك : ٱلاستواء معلوم ، وٱلكيف مجهول ، وٱلسؤال عنه بدعة ، وٱلإيمان به واجب ، وأظنك رجل سوء ، وقال : أخرجوه عني ، فأدبر ٱلرَّجل وهو يقول : يا عبد ٱلله ؛ لقد سألت عنها أهل ٱلعراق ، وأهل ٱلشام ، فما وُفق فيها توفيقك[2] .

---

(١) ومما يدل علىٰ ذلك : قول ٱلإمام ٱلطحاوي في كتابه « ٱلعقيدة ٱلطحاوية » ، قال : ومن لم يتوق ٱلنفي وٱلتشبيه ؛ زل ولم يصب ٱلتنزيه ، فإن ربنا جلَّ وعلا موصوفٌ بصفات ٱلوحدانية ، منعوت بنعوت ٱلفردانية ، وليس في معناه أحد من ٱلبرية تعالىٰ ٱلله عن ٱلحدود وٱلغايات ، وٱلأركان وٱلأعضاء وٱلأدوات ، ولا تحويه ٱلجهات ٱلست كسائر ٱلمبتدعات . ينظر « ٱلعقيدة ٱلطحاوية » بشرح أكمل ٱلدين ٱلبابرتي (ص ٧٥) .

(٢) ٱعلم : أنه لم يثبت عن ٱلإمام مالك ، ولا عن غيره من ٱلسَّلف بإسناد صحيح =

وقال ٱلإمام محمد بن إدريس ٱلشافعي رحمه الله تعالىٰ ، لما سئل عن قوله تعالىٰ : ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ [طـه : ٥] : آمنتُ بلا تشبيه ،

= أنه قال : (ٱلاستواء معلوم وٱلكيفية مجهولة) ، وإنما ٱلصحيح ٱلذي رواه ٱلبيهقي من طريق عبد ٱلله بن وهب ويحيىٰ بن يحيىٰ ، قال ٱلبيهقي : بعد ما ذكر سند ٱلرواية قال : (ٱلرحمٰن علىٰ ٱلعرش ٱستوىٰ كما وصف نفسه ، ولا يقال : كيف ، وٱلكيف عنه مرفوع) ، فأما تلك ٱلرواية ٱلتي يلهج بها ٱلمشبهة ؛ لأنها وافقت هواهم ٱلذي هو ٱلتشبيه ـ لأن ٱعتقادهم أن ٱستواءه كيفٌ لكن لا نعلمه ـ فهٰذا إثبات للكيف ، لا تنزيهٌ لله عن ٱلكيف ! ولا يُغترُّ بوجود هٰذه ٱلعبارة في كتاب « إحياء علوم ٱلدين » ونحوه ، ولا يريد مؤلفه ما تفهمه ٱلمشبهة ، لأنه مُصرِّحٌ في كتبه بأن ٱلله منزه عن ٱلجسمية وٱلتحيز في ٱلمكان ، وعن ٱلحد وٱلمقدار ، وما يوجد في بعض كتب ٱلأشاعرة من هٰذه ٱلعبارة (ٱلاستواء معلوم وٱلكيفية مجهولة) غلط لا أساس له عن ٱلسلف ، لا عن ٱلإمام مالك ولا غيره ؛ لأنهم لا يفهمون هٰذا ٱلمعنىٰ ، بل يفهمون أن حقيقة ٱلاستواء غير معلوم للخلق مع تنزيههم لله عن ٱلجسمية وٱلتحيز في ٱلمكان وٱلجهة .

قال ٱلحافظ ٱللغوي محمد مرتضىٰ ٱلزبيدي : وقال ٱبن ٱللبان في تفسير قول مالك قوله : (ٱلكيف غير معقول) أي : (كيف) من صفات ٱلحوادث ، وكل ما كان من صفات ٱلحوادث فإثباته في صفات ٱلله تعالىٰ ينافي ما يقتضيه ٱلعقل ، فيجزم بنفيه عن ٱلله تعالىٰ . ينظر « ٱلأسماء وٱلصفات » (ص ٤٠٨) ، و« إتحاف ٱلسادة ٱلمتقين » (٢ / ٨٢) .

وصدَّقتُ بلا تمثيل ، واتهمت نفسي في الإدراك ، وأمسكت عن الخوض فيه كل الإمساك[(١)] .

وسُئِل الإمام أحمد ابن حنبل رحمه الله تعالى عن الاستواء ، فقال : استوىٰ كما أخبر ، لا كما يخطر للبشر .

وسُئِل إمام الحرمين هل الباري سبحانه علىٰ العرش ؟ فقال في الجواب : خلق العرش من درة ، وهو بالنسبة إلىٰ قدرته أقل من ذرة ، فكيف يكون مستقره .

وسُئِل ذا النون المصري رحمه الله تعالى ، عن قوله : ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه : ٥] ، فقال : أثبت ذاته ونفىٰ مكانه[(٢)] ، فهو موجود بذاته ، والأشياء موجودة بحكمه كما شاء .

---

(١) ذكر هذا القول الإمام العارف بالله السيد أحمد الرفاعي في « البرهان المؤيد » (ص ٢٤) ، والإمام تقي الدين الحصني في « دفع شبه من شبه وتمرد » (ص ١٨) .

(٢) أي : بدلالة قوله : ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ ، ونفىٰ مكانه بدلالة العقل ؛ لأنه ثابت قبل العرش وغيره من سائر الخلق ، فهو موجود بذاته غير مفتقر إلىٰ غيره ، والأشياء المخلوقة موجودة بحكمه كما شاء سبحانه ، فهي مفتقرة إليه ، وللفظ ﴿ٱسۡتَوَىٰٓ﴾ محامل : جلس واعتدل واستولىٰ وعلا مكاناً أو رتبة وقصد ؛ كقوله تعالىٰ : ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ أي : قصد إلىٰ فعل أمر فيها، فالأولان والرابع بمعنىٰ علو المكان محالات في حقه تعالىٰ ، بخلاف ما=

وسُئِل ٱلشبلي[(١)] رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ ، عن ذلك ، فقال : ٱلرحمٰن لم يزل[(٢)] ، وٱلعرش محدث ، وٱلعرش بالرحمٰن ٱستوىٰ .

وقال جعفر ٱلصادق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ : من زعم أنَّ ٱلله في شيء ، أو من شيء ، أو علىٰ شيء ؛ فقد أشرك[(٣)] ؛ إذ لو كان علىٰ شيء ؛ لكان محمولاً ، ولو كان في شيء ؛ لكان محصوراً ، ولو كان من شيء ؛ لكان محدثاً[(٤)] .

= عداها ، وٱلعرش لغة : سرير ٱلملك وٱلسقف . انتهىٰ من « شرح ٱلرسالة ٱلقشيرية » [ص٥٨] . **كذا بخط ٱلمؤلف لوحة (٤ /أ)** .

(١) أبو بكر دلف بن جحدر ٱلشبلي ، أصله من خراسان ، ونسبته إلىٰ قرية (شبلة) من قرىٰ ما وراء ٱلنهر ، ومولده بـ(سُرَّ من رأىٰ) ، ووفاته ببغداد سنة (٣٣٤هـ) ، عكف علىٰ ٱلعبادة ، فاشتهر بالصلاح . ينظر « ٱلأعلام » (٢ / ٣٤١) .

(٢) أي : قديم ، وٱلعرش محدث ، وٱلعرش بالرحمٰن ـ أي : بقدرته ـ ٱستوىٰ ، فهو تعالىٰ مستغن عنه وعن غيره ، وإنما خلقه ؛ إظهاراً لعظمته ، لا مكاناً لذاته ؛ لتعاليه عن ذلك ، وفي تفسير ٱستواء ٱلله باستواء ٱلعرش بُعد . انتهىٰ من « شرح ٱلرسالة ٱلقشيرية » [ص٥٨] . **كذا بخط ٱلمؤلف لوحة (٤ /أ)** .

(٣) أي : وٱللوازم باطلة ؛ لأنها تدل علىٰ ٱلجسمية ، وٱلقول بها في حقه تعالىٰ كفر . انتهىٰ من « شرح ٱلرسالة ٱلقشيرية » [ص٥٨] . **كذا بخط ٱلمؤلف لوحة (٤ /أ)** .

(٤) ينظر « ٱلرسالة ٱلقشيرية » (ص ٥٨) .

فهٰذه ٱلأجوبة كلُّها متفقة علىٰ ٱلتَّنزيه عما يعطيه ٱلظَّاهر، وقد علم مما مر أنه لا خلاف بين ٱلأئمة ٱلأربعة في ذلك، ومن توهم أن بين أحد منهم ٱختلافاً في صحة ٱلاعتقاد؛ فقد أعظم ٱلفرية علىٰ ٱلأمة.

وقال ٱلإمام محيي ٱلسنة ٱلبغوي في «تفسيره»[1] عند قوله تعالىٰ: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢١٠]: وٱلأولىٰ في هٰذه ٱلآية وفيما شاكلها: أن يؤمن ٱلإنسان بظاهرها، ويَكِلَ علمَها إلىٰ ٱلله عز وجل، ويعتقد أن ٱلله عز ٱسمه منزَّه عن سمات ٱلحدوث، علىٰ ذلك مضت أئمة ٱلسلف وعلماء ٱلسنة.

قال ٱلكلبي: هٰذا من ٱلمكتوم ٱلذي لا يفسر، وكان مكحول وٱلزهري وٱلأوزاعي ومالك وٱبن ٱلمبارك وسفيان ٱلثوري وٱلليث بن سعد وأحمد وإسحاق رحمهم الله تعالى يقولون فيه وفي أمثاله: أَمِرُّوها كما جاءت بلا كيف.

قال سفيان بن عيينة: كل ما وَصف ٱلله تعالىٰ به نفسه في كتابه، فتفسيره قراءتُه وٱلسكوت عنه، ليس لأحد أن يفسره إلا ٱلله ورسوله. انتهى

وقال أيضاً: عند قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]: وأما أهل ٱلسنة؛ فيقولون: ٱلاستواء علىٰ ٱلعرش صفة ٱلله تعالىٰ بلا كيف، يجب علىٰ ٱلرجل ٱلإيمان به، ويَكِلُ ٱلعلم فيه إلىٰ ٱلله عز وجل.

---

(١) «تفسير ٱلبغوي» (١/ ٢٤١).

وسأل رجل مالك بن أنس عن قوله تعالىٰ : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه : ٥] ، فأطرق رأسه ملياً وعلاه ٱلرُّحَضَاء[١] ، ثم قال : ٱلاستواء غير مجهول ، وٱلكيف غير معقول[٢] ، وٱلإيمان به واجب ، وٱلسؤال عنه بدعة ، وما أظنك إلا ضالاً ، ثم أمر به فأخرج .

وروي عن سفيان ٱلثوري ، وٱلأوزاعي ، وٱلليث بن سعد ، وسفيان بن عيينة ، وعبد ٱلله بن ٱلمبارك ، وغيرهم من علماء أهل ٱلسنة في هٰذه ٱلآيات ٱلتي جاءت في ٱلصفات ٱلمتشابهة : أمروها كما جاءت بلا كيف[٣] . انتهىٰ

---

(١) ٱلرحضاء : هو عَرَق يغسل ٱلجلد لكثرته ، وكثيراً ما يستعمل في عرق ٱلحُمىٰ وٱلمرض . ينظر «ٱلنهاية» (٢ / ٢٠٨) .

(٢) أي : ٱلشكل وٱلهيئة وٱلجلوس وٱلاستقرار هٰذا غير معقول ؛ أي : لا يقبله ٱلعقل ، ولا يجوز علىٰ ٱلله ؛ لأنه من صفات ٱلأجسام ، ويفهم من هٰذا أيضاً : لا يقال للمعبود : كيف هو ؛ لأنه يستخبر بـ(كيف) عن ٱلهيئة وٱلحال ، وٱلله سبحانه لا هيئة له ولا حال ، وكذلك نفهم من عبارة ٱلإمام مالك عند ما زجر ٱلرجل بقوله : (أنت رجل سوء صاحب بدعة ، أخرجوه) ؛ لأن ٱلرجل سأله بقوله : (كيف ٱستوىٰ) أي : سأله عن كيفية ٱلاستواء ، وهٰكذا قد علمنا أن ٱلله منزه عن ٱلكيف ؛ لأن ٱلكيف من صفات ٱلمخلوقين .

(٣) معنىٰ قولهم : (أمروها كما جاءت بلا كيف) في بعض ٱلنصوص ٱلتي ظواهرها إثبات ٱلجسمية أو صفات ٱلجسمية كحديث ٱلنزول ؛ أي : ٱرووا =

وقال أيضاً عن قوله عزّ وجلّ : ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة : ٦٤] : ويد ٱلله صفة من صفات ذاته كالسمع وٱلبصر وٱلوجه ، وقال جلَّ ذكره : ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾ [ص : ٧٥] ، وقال ٱلنبي صلى الله عليه وسلم : « كلتا يديه يمين »[1] ، وٱلله أعلم بصفاته ، وعلى ٱلعباد فيها ٱلإيمان وٱلتَّسليم .

وقال أئمة ٱلسلف من أهل ٱلسنة في هٰذه ٱلصفات : أمروها كما جاءت بلا كيف . انتهى كلام ٱلبغوي[2] رحمه الله تعالى ، وقاله[3] أيضاً في « عقيدته » وقد ٱختار فيها مذهب ٱلسلف .

❁ ❁ ❁

= ٱللفظ ولا تعتقدوا تلك ٱلظواهر ٱلتي هي من صفات ٱلجسم ، فالأئمة مرادهم نفي ٱلجسمية وصفاتها عن ٱلله ؛ أي : هٰذه ٱلنصوص ليس معانيها ٱلجسمية وصفاتها من حركة وسكون ؛ لأن ٱلله تعالى نفى ٱلجسمية وصفاتها عن نفسه بقوله : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (الشورى : ١١) ، وأراد ٱلأئمة ردَّ تلك ٱلنصوص إلى هٰذه ٱلآية ٱلمحكمة .

(١) قطعة من حديث أخرجه ٱلإمام مسلم في « صحيحه » كتاب ٱلإمارة ، باب فضيلة ٱلإمام ٱلعادل ، وعقوبة ٱلجائر ، رقم (١٨٢٧) .

(٢) ينظر « تفسير ٱلبغوي » (٣/ ٧٧) .

(٣) في المخطوط : (وقال) .

[مطلب]
[الآيات والأحاديث التي وردت في الصفات]

وٱعلم : أن لله تعالىٰ صفاتٍ سمعيةً ورد بها ٱلقرآن وٱلسُّنة ؛ مثل : ٱلنَّفس وٱلوجه وٱلعين وٱليد وٱلإصبع وٱلقدم وٱلإتيان وٱلمجيء وٱلنزول إلىٰ ٱلسَّماء ٱلدنيا وٱلاستواء علىٰ ٱلعرش وٱلفوقية ، وقد ثبت ذلك عن ٱلنبي ﷺ ، وورد بها ٱلقرآن .

قال ٱلله تعالىٰ : ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾ [طه : ٤١] ، ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ [طه : ٣٩] ، ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن : ٢٧] ، ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص : ٧٥] ، ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر : ٢٢] ، ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه : ٥] ، ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف : ٥٤] ، ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام : ١٨] .

وفي ٱلخبر : « ينزل ٱلله تعالىٰ كل ليلة إلىٰ ٱلسَّماء ٱلدنيا » ، « ٱلقلوب بين إصبعين من أصابع ٱلرحمٰن » ، هٰذا وأمثاله كالضحك مما ورد في ٱلقرآن أو ثبت بنقل ٱلثقات عن ٱلنبي ﷺ يجب ٱلإيمان به .

وأن يعتقد أنَّها كلها صفات ٱلله تعالىٰ[1] من غير تمثيل ولا تشبيه ، ولا يؤوِّل من عند نفسه ، ولا يتفحَّص عن كيفيته ؛ لئلا يقع في ٱلتَّشبيه وٱلتَّعطيل ، فإنكار هٰذه ٱلصِّفات من شيم ٱلمعطِّلين وتشبيهه بصفات ٱلمخلوقين من طرق ٱلمشبِّهين ، لا تشبه صفة من صفاته خلقَه ، كما لا تشبه ذاتُه ذاتَ أحد ، فليجتنب من ٱلتَّشبيه في هٰذه ٱلصِّفات ، وليَكِل تأويله إلىٰ ٱلله تعالىٰ ، فإن طريق أصحاب ٱلنبي ﷺ وعلماء ٱلسنة ٱلإيمان به وإقراره كما جاء وأن يَكِلَ علمه إلىٰ ٱلله سبحانه وتعالىٰ ، قال ٱلله تعالىٰ : ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران : ٧] ، يقف معظم أهل ٱلسنة علىٰ هٰذه ، ثم يبتدئون ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران : ٧] . انتهىٰ

وقال ٱلإمام ٱلرباني ولي ٱلله بلا نزاع محيي ٱلدين يحيىٰ بن شرف

---

(١) يقول ٱلإمام ٱلحافظ أبو ٱلفرج بن ٱلجوزي ٱلحنبلي في كتابه « دفع شبه ٱلتشبيه » : وقد وقع غلط ٱلمصنفين في سبعة أوجه ؛ منها : أنهم سموا ٱلأخبار أخبار صفات ، وإنما هي إضافات وليس كل مضاف صفة ، فإنه قال سبحانه وتعالىٰ : ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجر : ٢٩] ، وليس لله تعالىٰ صفة تسمىٰ روحاً ، فقد ٱبتدع من سمىٰ ٱلمضاف صفة . . . إلخ . ينظر « دفع شبه ٱلتشبيه » (ص ١٠٤) .

ٱلنووي في « شرحه لصحيح ٱلإمام مسلم » ، عند قوله ﷺ : «ينزل ربنا كل ليلة إلىٰ ٱلسَّماء فيقول : من يدعوني ؛ فأستجيب له »[1] :

(هٰذا ٱلحديث من أحاديث ٱلصِّفات ، وفيها مذهبان مشهوران للعلماء سبق إيضاحُها في كتاب ٱلإيمان ، ومختصرهما أن :

أحدهما ـ وهو مذهب جمهور ٱلسَّلف وبعض ٱلمتكلِّمين ـ : أن يؤمن بأنَّها حق علىٰ ما يليق بالله تعالىٰ ، وأن ظاهرها ٱلمتعارف في حقنا غير مراد ، ولا يتكلم في تأويلها مع ٱعتقادنا تنزيه ٱلباري سبحانه وتعالى عن صفات ٱلمخلوقين ، وعن ٱلانتقال ، وٱلحركات ، وسائر سمات ٱلخلق .

وٱلثاني ـ مذهب أكثر ٱلمتكلمين وجماعة من ٱلسَّلف ، وهٰذا محكي عن مالك وٱلأوزاعي ـ : أنها تتأول علىٰ ما يليق بها بحسب مواطنها ، فعلىٰ هٰذا تأولوا هٰذا ٱلحديث تأويلين :

أحدهما : تأويل مالك بن أنس وغيره معناه : تنزّل رحمته وأمره وملائكته ، كما يقال : فعل ٱلسُّلطان كذا ؛ إذا فعل أتباعُه بأمره .

وٱلثاني : أنه علىٰ ٱلاستعارة ، ومعناه : ٱلإقبال علىٰ ٱلداعي بالإجابة وٱللطف ، وٱلله تعالىٰ أعلم) .

---

(١) « شرح ٱلإمام ٱلنووي علىٰ صحيح ٱلإمام مسلم » (٦ / ٣٦) .

وقال أيضاً رحمه الله تعالى[١] ـ عند قوله صلى الله عليه وسلم في حديث ٱلجارية[٢] : « أين ٱلله ؟ » ، قالت : في ٱلسَّماء ، قال : « من أنا ؟ » ، قالت : رسول ٱلله صلى الله عليه وسلم ، قال : « أعتقها ؛ فإنها مؤمنة » ـ :

(هٰذا ٱلحديث من أحاديث ٱلصِّفات ، وفيه مذهبان تقدم ذكرهما مرَّات في كتاب ٱلإيمان .

أحدهما : ٱلإتيان به من غير خوض في معناه مع ٱعتقاد أنَّ ٱلله تعالىٰ ليس كمثله ، وتنزيهه عن سمات ٱلمخلوقين .

---

(١) « شرح ٱلإمام ٱلنووي علىٰ صحيح ٱلإمام مسلم » (٥ / ٢٤) .

(٢) هٰذا حديث مضطرب ؛ لأنه أتىٰ بعدة روايات ، ٱلرواية ٱلأولىٰ : قال لها : « من ربك » ، ثم قال لها : « من أنا » ، وٱلرواية ٱلثانية : قال لها : « أتشهدين أن لا إله إلا ٱلله » ، ثم قال : « أعتقها ؛ فإنها مؤمنة » ، فهاتان ٱلروايتان عن ٱلشريد بن سويد ، وٱلسند من حماد إلىٰ ٱلشريد واحد ، وٱللفظ مختلف : ففي ٱلأول : قال لها : « من ربك » ، ثم قال لها : « من أنا » ، وفي ٱلثاني : قال لها : « أتشهدين أن لا إله إلا ٱلله » .

فهٰذا أول ٱضطراب لحديث ٱلجارية مع عدم ٱختلاف ٱلقصة ، ومن هنا ترىٰ كيف يتصرف ٱلرواة بالحديث ، ومن ثم فأي ٱللفظين أقرب إلىٰ ٱلإيمان : أين ٱلله ، أم ما في هاتين ٱلروايتين ؟ وإذا أردت ٱلمزيد ؛ فعليك بكتاب « رفع ٱلغاشية في ٱلحقيقية وٱلمجاز وحديث ٱلجارية » للشيخ نضال آله رشي .

وٱلثاني : تأويلُهُ بما يليقُ به ، فمن قال به ؛ قال : كان ٱلمرادُ ٱمتحانَها ؛ هل هي موحِّدةٌ تُقِرُّ بأنَّ ٱلخالقَ ٱلمدبِّرَ ٱلفعَّال هو ٱلله تعالىٰ وحدَهُ ـ وهو ٱلذي إذا دعاه ٱلداعي ؛ ٱستقبلَ ٱلسماءَ ، كما إذا صلَّىٰ له ٱلمصلِّي ؛ ٱستقبلَ ٱلكعبة ؟ وليس ذلك أنَّه مُنحصرٌ في ٱلسَّماء ، كما أنَّه ليس منحصراً في جهة ٱلكعبة ، بل ذلك لأنَّ ٱلسَّماء قِبلة ٱلداعين ، كما أن ٱلكعبة قِبلة ٱلمصلين ـ أم هي من عبدة ٱلأوثان ٱلعابدين للأوثان ٱلتي بين أيديهم ؟ فلمَّا قالت : في ٱلسَّماء ؛ علم أنَّها موحدة وليست عابدة للأوثان .

ـ قال ٱلقاضي عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ[1] : لا خلاف بين ٱلمسلمين قاطبة ، فقيهِهم ومحدِّثِهم ومُتَكلِّمهم ونَظَّارهم ومقلِّدهم .

أنَّ ٱلظَّواهر ٱلواردة بذكر ٱلله تعالىٰ في ٱلسَّماء ، كقوله تعالىٰ : ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾ [الملك : ١٦] ونحوها ليست علىٰ ظاهرها ، بل متأوَّلةٌ عند جميعهم .

---

(١) « إكمال ٱلمعلم شرح صحيح مسلم » (٢/ ٤٦٥) ، وٱلقاضي عياض : هو عياض بن موسىٰ بن عياض بن عمرون ٱليَحْصُبي ٱلسَّبْتي ، أبو ٱلفضل عالم ٱلمغرب وإمام أهل ٱلحديث في وقته ، توفي بمراكش مسموماً سنة (٥٤٤هـ) ، ومن تصانيفه : « ٱلشفا بتعريف حقوق ٱلمصطفىٰ » ، و« تقريب ٱلمسالك في معرفة أعلام مذهب ٱلإمام مالك » ، وغيرها . ينظر « ٱلأعلام » (٥/ ٩٩) .

فمن قال بإثبات جهة فوق من غير تحديدٍ ولا تكييفٍ من ٱلمحدِّثين وٱلفقهاء وٱلمتكلِّمين ؛ تأوَّل في ٱلسَّماء ؛ أي : علىٰ ٱلسَّماء ، ومن قال مِن دَهمَاء ٱلنُّظَّار وٱلمتكلِّمين وأصحاب ٱلتَّنزيه بنفي ٱلحدِّ وٱستحالة ٱلجهة في حقه تعالىٰ ؛ يؤوِّلها تأويلاتٍ بحسب مقتضاها . . . وذكر نحو ما سبق[1] .

---

(١) قال ٱلإمام ٱلرازي « تفسيره » (٣٠/ ٦٩) : وٱعلم أن ٱلمشبهة ٱحتجوا علىٰ إثبات ٱلمكان لله تعالىٰ بقوله : ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ ، وٱلجواب عنه أن هٰذه ٱلآية لا يمكن إجراؤها علىٰ ظاهرها باتفاق ٱلمسلمين ؛ لأن كونه في ٱلسماء يقتضي كون ٱلسماء محيطاً به من جميع ٱلجوانب ، فيكون أصغر من ٱلسماء ، وٱلسماء أصغر من ٱلعرش بكثير ، فيلزم أن يكون ٱلله تعالىٰ شيئاً حقيراً بالنسبة إلىٰ ٱلعرش ـ تعالىٰ ٱلله عن ذلك ـ وذلك باتفاق أهل ٱلإسلام محال ، ولأنه تعالىٰ قال : ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ﴾ ، فلو كان ٱلله في ٱلسماء ؛ لوجب أن يكون مالكاً لنفسه وهٰذا محال ، فعلمنا أن هٰذه ٱلآية يجب صرفها عن ظاهرها إلىٰ ٱلتأويل .

قال ٱلقرطبي : قوله تعالىٰ : ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ قال ٱبن عباس : أأمِنتم عذاب من في ٱلسماء إن عصيتموه ، وقيل : تقديره : أأمِنتم من في ٱلسماء قدرته وسلطانه وعرشه ومملكته .

وقال ٱلعلامة ٱلآلوسي : ﴿مَّن﴾ موصولة ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ أي : ٱلملائكة ٱلموكلين بتدبير هٰذا ٱلعالم أو ٱلله سبحانه علىٰ تأويل من في ٱلسماء أمره وقضاؤه .

=

قال : ويا ليت شعري ! ما ٱلذي جمع أهل ٱلسُّنة وٱلحقِّ كلَّهم علىٰ وجوب ٱلإمساك عن ٱلفكر في ٱلذَّات كما أُمِرُوا ، وسكتوا لحيرة ٱلعقل ، وٱتَّفقوا علىٰ تحريم ٱلتَّكييف وٱلتَّشكيل ، وأنَّ ذلك من وقوفهم وإمساكهم غير شكٍّ في ٱلوجود أو جهل بالموجود ، وغير قادح في ٱلتَّوحيد بل هو حقيقته ، ثم تسامح بعضهم[1] في إثبات ٱلجهة ، وهل

= وكذلك قال ٱلشيخ ٱلحجة محمد ٱلسبزوري : ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ يعني : هل أمِنتم عذاب ٱلله تعالىٰ ٱلذي في ٱلسماء سلطانه ، وأمره ، وتدبيره ، وفي ٱلأرض تجري حكمته وتقديره . ينظر « تفسير ٱلرازي » (٣٠ / ٦٩) ، و« تفسير ٱلقرطبي » (٣٠/ ٦٩) ، و« روح ٱلمعاني » (١٠/ ٩٠) ، و« تفسير ٱلسبزوري » (٧/ ١٩٩) .

(١) فلأن ذلك مغتفر في حق ٱلعوام كما نقله ٱلشهاب ٱبن حجر في « ٱلتحفة » وعبارته فيها : (ومِنْ ثَمَّ قيل أخذاً مِنْ حديث ٱلجارية : يُغتفرُ نحو ٱلتَّجسيم وٱلجهة في حقِّ ٱلعوام ؛ لأنَّهم مع ذلك علىٰ غايةٍ مِن ٱعتقاد ٱلتَّنزيه وٱلكمال ٱلمُطلق) انتهىٰ

وسبب حديث ٱلجارية علىٰ ما ذكره صاحب « سلوك ٱلنجاة » : أن رجلاً كانت عنده أمَة أراد أن يعتقها ، فاستشار ٱلنبي ﷺ وقال لها : أين ٱلله ؟ قالت : في ٱلسماء . . . الحديث ، فقيل : منها قولها : أن ٱلله في ٱلسماء ؛ لقوله ﷺ : « أمرت أن أخاطب ٱلناس علىٰ قدر عقولهم » ، ولذلك لما قال له رجل : يا رسول ٱلله ؛ أين ٱلله ؟ أفي ٱلسماء أم في ٱلأرض ؟ فقال : « في قلوب عباده ٱلمؤمنين » . ذكر ذلك صاحب « سلوك ٱلنجاة » . =

بين ٱلتَّكييف وإثبات ٱلجهة فرق، لكن إطلاق ما أطلقه ٱلشَّرع من أنه: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾، وأنه: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ مع ٱلتَّمسك بالآية ٱلجامعة للتَّنزيه ٱلكلِّي ٱلذي لا يصح في ٱلعقول غيره، وهو قوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ عصمة لمن وفَّقه ٱلله وهداه، هٰذا كلام ٱلقاضي) انتهىٰ ما ذكره ٱلنووي[1] رحمه الله تعالىٰ.



= وقال ٱلإمام ٱلقشيري في «رسالته»: (ورأيت بخط ٱلأستاذ أبي عليٍّ ٱلروذباري أنه قيل لصوفي: أين ٱلله؟ فقال للسائل: أسحقك ٱلله ـ أي: غيبك عن نفسك بكمال شغلك به ـ تطلب مع ٱلعين أين! فيه دلالة علىٰ أن ٱلصوفي إن كان في حال ٱلحضرة مع ٱلله بحيث لا يرىٰ في كل متحرك ولا ساكن إلا ٱلله؛ فصار كالعيان عنده، فلغلبة ذلك علىٰ قلبه دعا للسائل بذلك) انتهىٰ من «شرح ٱلرسالة ٱلقشيرية» [ص٦٠]. كذا بخط ٱلمؤلف لوحة (٥/أ).

(١) ينظر «شرح ٱلإمام ٱلنووي علىٰ صحيح ٱلإمام مسلم» (٥/ ٢٥).

فصل

[رأي المؤلف في ابن تيمية وتلميذه مما نسب لهما]

وبما ذكرناه قد تبين لك مذهب ٱلسَّلف عن دليل واضح وبرهان لائح ، فتَمسَّك به ، وعَضَّ عليه بالنواجذ ، وٱترك ٱلعقائد ٱلمخالفة لمعتقد ٱلجمهور في مسألة ٱلجهة وغيرها[1] ، وكن علىٰ عقيدة أهل

---

(١) أي : كالقول بقدم ٱلحروف وٱلأصوات في كلامه سبحانه كما ذهب إليه [بعض] ٱلحنابلة ، قال ٱلقشيري في « رسالته » : سمعت ٱلشيخ أبا عبد ٱلرحمٰن محمد بن ٱلحسين ٱلسلمي رحمه الله يقول : سمعت عبد ٱلله بن موسىٰ ٱلسلامي يقول : سمعت أبا بكر ٱلشبلي يقول : ٱلواحد ٱلمعروف قبل ٱلحدود وقبل ٱلحروف ، وهٰذا صريح من ٱلشبلي أن ٱلقديم سبحانه لا حدَّ لذاته ، ولا حروف لكلامه ، وقال ٱبن عطاء : إن ٱلله تعالىٰ لما خلق ٱلأحرف جعلها سراً له ، فلما خلق آدم عليه ٱلسلام ؛ بثَّ فيه ذلك ٱلسر ، ولم يبث ذلك ٱلسر في أحد من ٱلملائكة ، فجرت ٱلأحرف علىٰ لسان آدم عليه ٱلسلام بفنون ٱلجريان وفنون ٱللغات ، فجعلها ٱلله صوراً لها ، صرَّح ٱبن عطاء بأن ٱلحروف مخلوقة ، وقال سهل بن عبد ٱلله : إن ٱلحروف لسان فعل لا لسان ذات ؛ لأنها فعل في مفعول ، قال ٱلقشيري : وهٰذا أيضاً تصريح بأن ٱلحروف مخلوقة ، ففي ذلك رد علىٰ من زعم أن ٱلله تعالىٰ يتكلم بالحروف وٱلأصوات ؛ إذ يستحيل أن يقوم ٱلحادث بالقديم . انتهى من « ٱلرسالة » [ص٦١] و« شرحها » للقاضي زكريا . **كذا بخط ٱلمؤلف** لوحة (٥ / ب) . =

ٱلأصول ومشايخ ٱلدِّين وٱلعلماء ٱلعارفين ؛ من ٱلحنفية وٱلمالكية

=قال ٱلشيخ عبد ٱلله بن أسعد ٱليافعي في كتابه « مرهم ٱلعلل » (ص ٣٣) : وقد تنسب إلىٰ ٱلإمام أحمد ٱبن حنبل طائفة تسمىٰ ٱلحشوية ، وقد نقل أئمتنا رضي الله عنهم أنه بريء منهم ، وقد قيل له رحمه الله تعالى : إن فلاناً ينقل عنك أنك تقول : ٱللفظ بالقرآن قديم ، قال : ما قلت هٰذا ، وأرسل له ، وقال : ذُكِر لي عنك أنك تقول عني : ٱللفظ بالقرآن إنه قديم ، فقال : ما قلت إلا عن نفسي ، فقال ٱلإمام أحمد : لا تقل هٰذا عني ولا عنك ، فما سمعت إماماً قال هٰذا ، وأطال ٱليافعي في ردِّ ذلك ، حتىٰ قال في بعض قصائده : [من الطويل]

وفي حشوياتٍ كسوفان أظلما ومن نهجها حاشا ٱلإمام ٱبن حنبل
هما جهة ما بين شمس وبينها وصوت وحرف في ٱلكلام ٱلمنزل

ذكر ٱلعلامة ٱلشيخ إبراهيم بن حسين في « فتاويه » : ومما يدفع حجة ٱلمشبهة في ذلك أن يقال لهم : هٰذه ٱلحروف ٱلتي تثبتون قِدَمَها في ٱلقرآن ، هل هي أحرف ألف باء تاء ثاء ، أم غيرها ؟ فإن قالوا : غير هٰذا ؛ فهٰذا دفع بما علم بالضرورة ، وإن قالوا : هي ؛ يقال لهم : فهل يكتب منها شعر ٱلمتنبي ونحوه أم لا ؟ فإن قالوا : بغيره يكتب ما ذكر ؛ فهٰذا محال أيضاً ، ودفعٌ لما يعلمه ضرورة ، وإن قالوا : إن ٱلأحرف ٱلتي يكتب بها ٱلقرآن هي ٱلتي يكتب بها ما ذكرناه ؛ فيجب ٱلقول بقدمه ، فهٰذا خلاف ٱلإجماع ، فلما لم يصح ؛ دل عليه أنها مخلوقة ، يقال لهم أيضاً : إذا قرأ ٱلقارئ هل يسمع منه ٱلقرآن كما يسمع من ٱلرب عز وجل أم لا ؟ فإن قالوا : ليس بينها فرق ؛ فهٰذا هو ٱلتشبيه بعينه ، ولا مُشْبه لكلام ٱلله ولا مثل له ، وإن قالوا بخلاف ما يسمع من ٱلقارئ ؛ فقد رجعوا إلىٰ مذهب ٱلحق . انتهى . كذا بخط ٱلمؤلف لوحة (٥ / ب) .

وٱلشافعية وٱلصوفية وغيرهم من ٱلسَّلف ٱلصالحين ، وٱسلك سبيلهم علماً وعملاً وٱعتقاداً ، ولا تَمِل عنها إلىٰ غيرها ، ولا تغتر بما نسب إلىٰ ٱلإمام ٱلعلاَّمة شيخ ٱلإسلام ٱبن تيمية ، وإلىٰ تلميذه ٱلعلاَّمة ٱبن قيم ٱلجوزية من ٱعتقاد ٱلتَّشبيه في حق مولانا عَزَّوَجَلَّ وٱلجسمية برَّأهما ٱلله تعالىٰ من ذلك ، وحماهما عن قبيح ٱلمسالك ، وقد صرَّح غير واحدٍ من ٱلعلماء ببراءتهما مما نسب إليهما[١] .

---

(١) وقد تباين كلام ٱلعلماء في ٱلشيخ ٱبن تيمية ، وتلميذه ٱبن قيم ٱلجوزية رَحِمَهُمَاٱللَّهُتَعَالَىٰ نظراً لتباين ما نقل عنهما من آراء تتعلق بالذات ٱلإلهية ، وبقاء ٱلنار ، ومسائل أخرىٰ أصلية وفرعية ، قال ٱلحافظ أبو زرعة ولي ٱلدين ٱلعراقي في كتابه « ٱلأجوبة ٱلمرضية عن ٱلأسئلة ٱلمكية » لوحة (١٣ / أ) :
وأما ٱلشيخ تقي ٱلدين ٱبن تيمية ؛ فهو إمام واسع ٱلعلم ، كثير ٱلفضائل وٱلمحاسن ، زاهدٌ في ٱلدنيا ، راغب في ٱلآخرة علىٰ طريقة ٱلسلف ٱلصالح ، لكنه كما قيل فيه : (علمه أكثر ـ أو أكبر ـ من عقله) ، فأداه ٱجتهاده إلىٰ خرق ٱلإجماع في مسائل كثيرة ، قيل : إنها تبلغ ستين مسألة ، فأخَذتهُ ٱلألسنة بسبب ذلك ، وتطرَّق إليه ٱللوم ، وٱمتحن بهٰذا ٱلسبب ، وأسرع علماء عصره في ٱلرد عليه وتخطئته وتبديعه ، ومات مسجوناً بسبب ذلك ، وٱلمنتصر له يجعله كغيره من ٱلأئمة بأنه لا تضره ٱلمخالفة في مسائل ٱلفروع إذا كان ذلك عن ٱجتهاد ، لكن ٱلمخالف له يقول : ليست مسائل كلها في ٱلفروع ، بل كثير منها في ٱلأصول ، وما كان منها في ٱلفروع فما كان سوغ له ٱلمخالفة فيها بعد ٱنعقاد ٱلإجماع عليها ، ولم يقع للأئمة ٱلمتبوعين =

= مخالفته ـ أي : ٱلإجماع ـ في مسائل ٱنعقد عليها ٱلإجماع قبلهم ، بل ما يقع لأحد منهم إلا وهو مسبوق به عن بعض ٱلسلف كما صرح به غير واحد من ٱلأئمة ، وما أبشع مسألتي ٱبن تيمية في ٱلطلاق وٱلزيارة ! وقد ردَّ عليه فيهما معاً ٱلشيخ ٱلإمام تقي ٱلدين ٱلسبكي ، وأفرد ذلك بالتصنيف ، فأجاد وأحسن .

قلتُ : وبعض ٱلعلماء سلك مسلك ٱلكفاف وحسن ٱلظن ٱلذي أمر به ٱلشارع مع عوام ٱلمؤمنين ، فمع ٱلخواص أولىٰ وأحرىٰ ، لا سيما إذا كان ٱلكلام يحتمل عدة أوجه ، فيحمل ٱلكلام علىٰ أحسنها وأقربها مع نصوص ٱلشرع أضف إلىٰ ذلك أنَّ ٱبن تيمية وتلميذه ٱبن ٱلقيم لم يشهرا سيفاً ، ولم يسفكا دماً ، ولم يخرجا عن ٱلجماعة وطاعة إمام ٱلمسلمين ، وإنما ٱجتهاد سلكاه ، ونهج ٱنتهجاه ، ولا شك أنَّ لهما فضائل عدة ليتَ مَنْ ينسب نفسه لهما أن يتحلَّىٰ ببعضها ، قال قاضي ٱلقضاة نجم ٱلدين بن حجي ٱلمتوفىٰ سنة (٨٣٠هـ) : وٱلعجب كل ٱلعجب من جهَّال حنابلة هٰذا ٱلزمان ، يغضبون إذا قيل لهم : (أخطأ ٱبن تيمية) ، وربما ٱعتقد بعضهم أنَّ قائل ذلك ملحد ، ولا يغضبون إذا قيل لهم : أخطأ ٱلشافعي وأبو حنيفة ومالك وٱلإمام أحمد . انتهىٰ

وجاء في « مجموع ٱلفتاوىٰ » بعد أنْ أورد رحمه الله بعض نصوص ٱلصفات : ٱعتقادنا فيها وفي ٱلآي ٱلواردة في ٱلصِّفات : أنَّا نقبلها ولا نحرِّفُها ولا نكيِّفُها ولا نعطِّلُها ولا نتأوَّلُها ، وعلىٰ ٱلعقول لا نحملها ، وبصفات ٱلخلق لا نشبِّهُها ، ولا نُعمل رأينا وفكرنا فيها ، ولا نزيدُ عليها ولا ننقص منها ، بل =

= نُؤمِن بِها ونَكِلُ علمها إلىٰ عالمها كما فعل ذلك ٱلسلف ٱلصَّالح وهم ٱلقدوة لنا في كل علم.

وقال ٱلعلامة ٱلمحدث ٱلسيد صفي ٱلدين ٱلحنفي ٱلبخاري في رسالته «ٱلقول ٱلجلي في ترجمة ٱلشيخ تقي ٱلدين ٱبن تيمية ٱلحنبلي»: قال ٱلشيخ - ٱبن تيمية - رَحِمَهُ ٱللَّهُ في عقيدته «ٱلواسطية»: ومن ٱلإيمان بالله: ٱلإيمان بما وصف ٱلله به نفسه في كتابه وبما وصفه به رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل. قلت - أي: صفي ٱلدين ٱلبخاري -: وتفسير كلامه أنه يجب ٱلإيمان بجميع ٱلمتشابهات ٱلواردة في ٱلكتاب وٱلسنة؛ كاليد وٱلوجه وٱلاستواء وٱلنزول علىٰ وجه يليق به تعالىٰ، فلا يكيَّف بشيء منها، ولا يمثل بصفات ٱلمخلوقين كما هو مذهب ٱلسلف ومن تبعهم من ٱلخلف، فلا يقال: يد كيدنا، أو وجه كوجهنا، أو ٱستواء كاستوائنا، أو نزول كنزولنا، بل يداه صفته بلا كيف، وكذا وجهه... وهٰكذا فقس في سائر ٱلصفات وٱلأفعال؛ فقوله: (من غير تكييف ولا تمثيل) ينفي كل باطل، وقد ذكر ٱلشيخ - ٱبن تيمية - هٰذا ٱلقول في غير موضع، ومقصوده بذلك نفي ٱلجهة وٱلجسمية؟

فظهر لنا أنَّ من أثنىٰ علىٰ هٰذا ٱلإمام من ٱلأئمة ٱلأعلام ينفي عنه ما ينسب إليه من إثبات معاني ٱلصفات ٱلمتشابهة وتفسيرها من خلال ظاهر ٱلنص؛ لأنَّ هٰذا ٱلقول مخالف لما كان عليه سلف ٱلأمة ٱلصالح ومن تبعهم بإحسان من ٱلإثبات دون خوض في ٱلمعنىٰ أو تفسيره، بل نجد ٱلعلامة ٱلمحدث صفي ٱلدين ٱلحنفي ٱلبخاري في رسالته «ٱلقول ٱلجلي في=

قال ٱلعلامة ٱلشيخ ملا علي ٱلقاري في « شرحه علىٰ ٱلشمائل »[١] للإمام ٱلترمذي بعد ذكر ما نقل عنهما من إثبات ٱلجهة وٱلجسمية في حقِّ مولانا جلَّ وعز صانهما ٱلله تعالىٰ من ٱلسِّمة ٱلشَّنيعة وٱلنَّبْتة ٱلفظيعة ، ومن طالع شرح « منازل ٱلسائرين »[٢] ؛ تبيَّن له أنَّهما كانا من

= ترجمة ٱلشيخ تقي ٱلدين ٱبن تيمية ٱلحنبلي » جعل ٱبن تيمية رَحِمَهُ ٱللهُ ماتريدياً أشعرياً غير أنه خالف ٱلماتريدية في زيادة ٱلإيمان ونقصانه ، وٱلأشاعرة في ٱلتأويل ! فهو عنده يُثبت ٱللفظ ولا يتأوله ، ولا يفسره . ينظر « مجموع ٱلفتاوىٰ » (٤ / ١٨٥) ، و« ٱلقول ٱلجلي في ترجمة ٱلشيخ تقي ٱلدين ٱبن تيمية ٱلحنبلي » (ص ١٣-١٤) ، و« دفع ٱلشبه » (٥٨٢) .

(١) « جمع ٱلوسائل في شرح ٱلشمائل » (١ / ١٦٨) لنور ٱلدين أبو ٱلحسن علي بن محمد سلطان ٱلقاري ٱلهروي ، ٱلمعروف بـ(ملا علي ٱلقاري) نزيل مكة وأحد صدور ٱلعلم ، وكانت وفاته (١٠١٤هـ) ، وله مصنفات عديدة منها : « شرحه علىٰ ٱلمشكاة » في مجلدات وهو أكبرها وأجلها و« شرح ٱلشفاء » ، و« شرح ٱلنخبة » ، و« شرح ٱلشاطبية » ، و« شرح ٱلفقه ٱلأكبر » وغيرها . ينظر « خلاصة ٱلأثر » (٣/ ١٧٧) ، و« معجم ٱلمؤلفين » (٥ / ٣٠٧) .

(٢) وهو « مدارج ٱلسالكين شرح منازل ٱلسائرين » (٢ / ٨٦) لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد ٱلزرعي ٱلدمشقي ، ٱلمعروف بابن قيم ٱلجوزية ، تتلمذ علىٰ ٱبن تيمية حتىٰ كان لا يخرج عن شيء من أقواله ، بل ينتصر له في جميع ما يصدر عنه ، توفي سنة (٧١٥هـ) ، وله تصانيف كثيرة ؛ منها : « إعلام ٱلموقعين » ، و« شفاء ٱلعليل في مسائل ٱلقضاء وٱلقدر وٱلحكمة وٱلتعليل » ، وغيرها من ٱلكتب ٱلعديدة ، وأما « منازل ٱلسائرين » ؛ فهو =

أهل ٱلسنة وٱلجماعة ومن أولياء هٰذه ٱلأمة ، وأشار بذلك إلىٰ ما ذكره ٱبن ٱلقيم في ٱلشَّرح ٱلمذكور بعد أن ساق جواب ٱلإمام مالك ٱلذي تقدم حين سُئِل عن ٱلاستواء ، قال : وهٰذا ٱلجواب من مالك شافٍ عام في جميع مسائل ٱلصِّفات ، فمن سأل عن قوله : ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طٰه : ٤٦] كيف يسمع ويرىٰ .

أجيب بهٰذا ٱلجواب بعينه ، فقيل له : ٱلسمع وٱلبصر معلوم ، وٱلكيف غير معقول ، وكذلك من سأل عن ٱلعلم وٱلحياة وٱلقدرة وٱلإرادة وٱلنزول وٱلغضب وٱلرضا وٱلرحمة وٱلضحك وغير ذلك ، فمعانيها كلها مفهومة[1] ، وأما كيفيتها ؛ فغير معقولة ؛ إذ تعقُّل ٱلكيفية فرع ٱلعلم بكيفية ٱلذات وكُنْهها ، فإذا كان ذلك غير معقول للبشر ؛ فكيف يعقل لهم كيفية ٱلصِّفات .

= للإمام أبي إسماعيل عبد ٱلله بن محمد ٱلهروي ٱلأنصاري . ينظر « ٱلأعلام » (٦ / ٦٥) ، و« ذيل طبقات ٱلحنابلة » (١ / ٣٦١) ، و« هدية ٱلعارفين » (٣/ ٣٠) .

(١) أي : أنَّ جميعها مفهومة ٱلمعنىٰ ؛ لكونها ألفاظاً عربية ، وٱلعرب تعرف لغتها ولا تجهل شيئاً منها ، لكن بعض هٰذه ٱلصفات كالنزول وٱلاستواء مثلاً مع علمنا بالمعنىٰ ٱلمتبادر ٱلظاهر ، إلا أنه يستحيل وصف ٱلله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ به ؛ لما يلزم منه لوازم باطلة نفاها ٱلشرع ، وكذا ٱلعقل من ٱلجسمية وٱلحد وٱلتحيز ، وهو ما نفاه ٱلسلف ٱلصالح وحذَّروا منه ، وجزموا بأنَّ ٱلمعنىٰ ٱلظاهر غير =

= مراد ، فيثبت ٱللفظ دون ٱلمعنىٰ ٱلمتبادر ، بل يفوض إلىٰ قائله وٱلمتكلم به ؛ بأن يقال : ٱلله أعلم بمراده ، وهٰذه طريقة ٱلسلف ٱلصالح ؛ فعندما سئل ٱلإمام مالك عن ٱلاستواء فقال : ٱلاستواء غير مجهول ؛ أي : في دلالته ٱللغوية ، لكن لاستحالته في ٱلذات ٱلإلهية أن يكون مراداً علىٰ حقيقته ؛ قال : وٱلكيف منه غير معقول ؛ لأن ٱلعقل لا يمكن أن يتصور خالقاً في شكل صورة أو جسم مستقراً ٱستقرار ٱلأجسام علىٰ ٱلأجسام ، فذلك لا يتصوره ٱلعقل ؛ وهٰذا ٱلذي حمل ٱلإمام مالك علىٰ ٱلغضب من ٱلسائل وٱلأمر بإخراجه ؛ لأنه ٱستشعر فيه بدعة ٱلتجسيم وٱلتشبيه ، ولو كان هناك وجه للتفسير وٱلتفريق بين ٱلمماثلة وٱلمشابهة وٱلدخول في هٰذه ٱلاستحالات ؛ لما غضب وأمر بإخراج ٱلسائل ووصفه بالبدعة ؛ إذ لا يرىٰ ٱلإمام مالك رحمه الله إلا ٱلإمرار وٱلتسليم ، وقد نقل ٱلإمام ٱلذهبي في « ٱلسير » (٨/ ١٠٥) عن ٱلإمام مالك عندما سأله ٱلوليد بن مسلم عن آيات ٱلصفات فقال : أَمِرُّوها كما جاءت في ٱلقرآن بلا تفسير ، وقال ٱلحافظ ٱبن كثير في « تفسيره » لآية ٱلاستواء ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ قال : نسلك في هٰذا ٱلمقام مذهب ٱلسلف ٱلصالح مالك وٱلأوزاعي وٱلثوري وٱلليث بن سعد وٱلشافعي وأحمد وإسحاق وغيرهم من أئمة ٱلمسلمين قديماً وحديثاً ؛ وهي : إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل ؛ وٱلظاهر ٱلمتبادر إلىٰ أذهان ٱلمشبهة منفيٌّ عن ٱلله ، لا يشبهه شيء من خلقه ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [ٱلشورىٰ : ١١] ، وقال ٱلإمام ٱلذهبي في « ٱلسير » (١٤/ ٣٧٣) معلقاً علىٰ هٰذه ٱلآية : من أقر بذلك تصديقاً لكتاب=

والعصمة ٱلنافعة في هٰذا ٱلباب : أن يوصف ٱلله بما وصف به نفسه وبما وصف به رسوله ، من غير تحريفٍ ولا تعطيلٍ ، ومن غير تكييف ولا تمثيل ، بل نثبت له ٱلأسماء وٱلصفات ، وننزهه عن مشابهة ٱلمخلوقات .

فيكون إثباتك منزَّهاً عن ٱلتَّشبيه ، ونفيك منزَّهاً عن ٱلتَّعطيل ، فمن نفىٰ حقيقة ٱلاستواء ؛ فهو معطِّل ، ومن شبَّهه باستواء ٱلمخلوق علىٰ ٱلمخلوق ؛ فهو ممثِّل ، ومن قال : هو ٱستواء ليس كمثله شيء ؛ فهو ٱلموحد ٱلمنزِّه ، وهٰذا ٱلكلام في ٱلسمع وٱلبصر وٱلحياة وٱلإرادة

= ٱلله ولأحاديث رسول ٱلله صلى الله عليه وسلم ، وآمن به مفوِّضاً معناه إلىٰ ٱلله تعالىٰ ، ولم يخض في ٱلتأويل ولا عمق ؛ فهو ٱلمسلم ٱلمتبع ، وقال أيضاً في (٨/ ١٠٥) : فقولنا في ذلك وبابه ٱلإقرار وٱلإمرار وتفويض معناه إلىٰ قائله ٱلصادق ٱلمعصوم ، وكذلك قال ٱبن قدامة ٱلمقدسي في « لمعة ٱلاعتقاد » : وما أشكل من تلك ٱلآيات وٱلأحاديث ؛ وجب إثباته لفظاً ، وترك ٱلتعرض لمعناه ، ونردُّ علمَه إلىٰ قائله ، ونجعل عُهْدَتَه علىٰ ناقله ، ثم ينقل ٱبن قدامة عن ٱلإمام أحمد قولَه : هٰذه ٱلأحاديث نؤمن بها ونصدق ، لا كيف ولا معنىٰ ، ولا نصف ٱلله تعالىٰ بأكثر مما وصف به نفسه .

لقد تهيَّب ٱلسَّلف هٰذا ٱلمقام ٱلعظيم ، فوقفوا وسكتوا ، ولم يتقدموا بين يدي ٱلله تعالىٰ بقول ؛ ليس جهلاً بدلالة ٱلألفاظ ولا نفياً لما يليق به سبحانه من معان وراء تلك ٱلألفاظ ، بل هو إجلال وتعظيم لله عز وجل من تدخّل ٱلتفسير ٱللغوي ٱلبشري بما هو عليه من نقص وقصور ، ومثل ذلك جميع ٱلصفات ٱلمتشابهة ٱلواردة في هٰذا ٱلباب .

والعلم والقدرة واليد والوجه والرضا والغضب والنُّزول والضحك ، وسائر ما وصف به نفسه . انتهى ما ذكره ابن القيم في الشرح المذكور .

قال الشيخ ملا علي القاري ـ بعد سياق هذه العبارة في شرحه لـ« الشمائل » ـ : (انتهى كلامه ، وتبيَّن مرامه ، وظهر أن معتقده موافق لأهل الحق من السَّلف وجمهور الخلف ، فالطَّعن الشَّنيع والقبح الفظيع غير موجَّه عليه ، ولا متوجِّه إليه ؛ فإنَّ كلامه بعينه مطابق لما قاله الإمام الأعظم والمجتهد الأقدم في « الفقه الأكبر »[1] ما نصه : وله تعالىٰ يدٌ ووجهٌ ونفسٌ ، فما ذكره الله في القرآن من الوجه واليد والنَّفس ؛ فهو له صفاتٌ بلا كيفٍ ، ولا يقال : إنَّ يده قدرتُهُ أو نعمته ؛ لأنَّ فيه إبطالَ الصِّفةِ ، وهو قولُ أهل القدر والاعتزال ، ولكن يدُهُ صفتُهُ بلا كيفٍ ، وغضَبُهُ ورضاهُ صفتان من صفاته بلا كيفٍ) انتهى

وممَّن صرَّح ببراءة الشيخ تقي الدين المذكور عما نسب إليه ذلك المتقدم : العلامة الشَّبراملِّسي[2] الشافعي في « حاشيته علىٰ فتاوىٰ

(١) ينظر « منح الروض الأزهر في شرح الفقه الأكبر » (ص ١٢٣) .

(٢) هو علي بن علي الشبراملسي ، أبو الضياء ، نور الدين ، فقيه شافعي ، مصري ، كُفَّ بصره في طفولته ، وهو من أهل شبراملس بالغربية بمصر ، تعلَّم وعلَّم بالأزهر وصنف كتباً منها : « حاشية علىٰ المواهب اللدنية » للقسطلاني ، و« حاشية علىٰ الشمائل » ، و« حاشية علىٰ نهاية المحتاج » . ينظر « الأعلام » (٤ / ٣١٤) .

ٱلعلَّامة ٱلشهاب ٱبن حجر ٱلحديثية » ، حيث صرَّح فيها بأنَّ عقيدة ٱلشيخ تقي ٱلدين موافقة لعقيدة ٱلسَّلف ٱلصالح .

ويؤيِّده ما ذكره ٱلشَّبرامَلِّسي قول ٱلشيخ تقي ٱلدين في جوابه لبعض ٱلسَّائلين علىٰ ما ذكره عند بعض ٱلمترجمين :

(ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ، فمن شبه ٱلله بخلقه ؛ فقد كفر ، ومن جحد ما وصف ٱلله به نفسه أو وصفه به رسوله ؛ فقد كفر ، وليس ما وصف ٱلله به نفسه أو وصفه به رسول ٱلله تشبيهاً ، فالمشَبِّه يعبد صنماً ، وٱلمعطِّل يعبد عدماً ، فيوصف ٱلله بما وصَفَ به نَفسَهُ ، وبما وصَفَهُ رسُولُه من غير تكييفٍ ولا تمثيلٍ ، ومن غير تَحريفٍ ولا تَعطِيل ، فلا تُمثِّل صَفاتِه بصفاتِ خَلقِه ، ومذهب ٱلسَّلف إثباتٌ بلا تَشبيهٍ ، وتنزيهٌ بلا تعطيل) انتهىٰ

وقوله أيضاً في عقيدته « ٱلمنظومة » ٱلتي أوَّلها : (يا سائلي عن مذهبي وعقيدتي) : [من الكامل]

وأقولُ : قالَ ٱلله جَلَّ جلاله ... والمصطفىٰ ٱلهادي ولا أتَأوَّلُ
وجميعَ آياتِ ٱلصِّفات أُمِرُّها ... حقّاً كما نقَل ٱلطِراز ٱلأوَّلُ
وأردُّ عُهْدَتَها إلىٰ نُقَّالِها ... وأَصُونُها عن كُلِّ مَا يُتَخَيَّلُ

وقد أثنىٰ علىٰ ٱلشيخ تقي ٱلدين ٱلمذكور كثيرٌ من ٱلعلماء ٱلرَّاسخين كما نَقَلَه عنه بعض من ترجم له :

منهم ٱلعلامة ٱلحافظ ٱبن حجر ٱلعسقلاني[١] .

وٱلعلامة أبو محمود محمد بن أحمد ٱلعيني[٢] .

وٱلعلامة ٱلشيخ صالح ٱلبُلقيني[٣] .

---

(١) هو أبو ٱلفضل أحمد بن علي بن محمد ٱلكناني ٱلعسقلاني ، شهاب ٱلدين ، ٱبن حجر ، أصله من عسقلان بـ(فلسطين) ، ولع بالأدب وٱلشعر ، ثم أقبل على ٱلحديث ، ولد بالقاهرة وتوفي بها سنة (٨٥٢هـ) ، وله تصانيف كثيرة جليلة ، منها : « فتح ٱلباري » ، و« ٱلدرر ٱلكامنة في أعيان ٱلمئة ٱلثامنة » ، و« لسان ٱلميزان » ، وغيرها . ينظر « ٱلأعلام » (١ / ١٧٨) ، و« تهذيب ٱلتهذيب » (١ / ٢) .

(٢) محمود بن أحمد بن موسىٰ ٱبن أحمد بن حسين بن يوسف بن محمود ٱلعينتابي ٱلحلبي ثم ٱلقاهري ، ٱلحنفي ، ٱلمعروف بالعيني ، فقيه ، أصولي ، مفسِّر ، نشأ بعينتاب ، وحفظ ٱلقرآن ، وتفقه علىٰ وٱلده وغيره ، توفي رحمه الله سنة (٨٥٥هـ) ، وله تصانيف كثيرة ؛ منها : « شرح ٱلجامع ٱلصحيح » للبخاري ، و« رمز ٱلحقائق في شرح كنز ٱلدقائق » ، وغيرها . ينظر « معجم ٱلمؤلفين » (١٢ / ١٥٠) .

(٣) سراج ٱلدين أبو حفص عمر بن رسلان بن نصير ٱلكناني ، ٱلعسقلاني ٱلأصل ، ثم ٱلبُلقيني ٱلمصري ٱلشافعي ، ولد في بُلقينة من غربية مصر ، وتعلم بالقاهرة ، وولي قضاء دمشق سنة (٧٦٩هـ) أشهراً ، ثم عزل ، له تصانيف عديدة ؛ منها : « تصحيح ٱلمنهاج » ، توفي رحمه الله سنة (٨٠٥هـ) . ينظر « طبقات ٱلحفاظ » للسيوطي (ص ٥٤٢ ـ ٥٤٣) ، و« طبقات ٱلشافعية » لابن قاضي شهبة (٤ / ٣٦ ـ ٤٣) .

والعلامة الشيخ عمر ابن الوردي[١]، وغيرُهم من سائر العلماء.

فلعلَّ ما نسب إليه مِن اعتقاد التَّجسيم والتَّشبيه هو الذي نُقل عن بعض أئمة الحنابلة ممن كان في زمانه قبل زمن الشَّيخ تقي الدين المذكور؛ فقد نقل العلَّامة ابن الجوزيِّ الحنبليُّ عن بعضهم التصريحَ بالجسميَّة، وصنَّف كتاباً في الردِّ عليهم، حتىٰ قال فيه: لقد كسوا هٰذا المذهب شيئاً شنيعاً حتىٰ ما عاد يقال لحنبلي إلا مجسِّم[٢].

---

(١) زين الدين عمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن أبي الفوارس المعري، الحلبي، الشافعي، المعروف بـ(ابن الوردي)، فقيه، أديب، ناثر، ناظم، لغوي، نحوي، مؤرِّخ، ولد بمعرة النعمان بسورية، وولي القضاء بمنبج، وتوفي بحلب سنة (٧٤٩هـ) وقد جاوز الستين، وله تصانيف كثيرة؛ منها: «خريدة العجائب وفريدة الغرائب»، و«منظومة النفحة الوردية» في النحو، و«نظم الحاوي الصغير» للقزويني في فروع الفقه الشافعي، وغيرها. ينظر «معجم المؤلفين» (٨/ ٣).

(٢) ينظر «دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه» (ص ١٠٢)، وقال الإمام التاج عبد الوهاب السبكي في كتابه «معيد النعم ومبيد النقم» (ص ٦٢): (وهٰؤلاء الحنفية والشافعية والمالكية وفضلاء الحنابلة ـ ولله الحمد ـ في العقائد يد واحدة، كلهم علىٰ رأي أهل السنة والجماعة، يَدينون الله تعالىٰ بطريق شيخ السنة أبي الحسن الأشعريِّ، لا يحيد عنها إلَّا... رعاع من الحنابلة لحقوا بأهل التجسيم...) انتهىٰ

وقال ٱبن ٱلبقي في شرح « عقيدة ٱبن ٱلحاجب » ـ على ما نقله ٱلعلامة برهان ٱلدين ٱلشيخ إبراهيم بن حسن في « فتاويه » بعد أن ذكر دليل ٱستحالة كونه تعالىٰ في جهة ـ : (وٱعلم : أن هٰذا ٱلمعتقد لا يخالف فيه بالتَّحقيق أحدٌ ، لا محدِّثٌ ولا فقيهٌ ولا غيرُهما ، ولم يجيء قطُّ في ٱلشَّرع علىٰ لسان نبيٍ ٱلتَّصريحُ بلفظ ٱلجهة بحسب ٱلتَّفسير ٱلمتقدم ؛ يعني : جهة ٱلفوقية ٱلحسيَّة ، فهي منتفية فيه لفظاً ومعنىً ، وكيفَ لا وٱلحق تعالىٰ يقول : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورىٰ : ١١] ، ولو كان في جهة بذلك ٱلاعتبار ؛ لكان له أمثالٌ ، فضلاً عن مِثلٍ واحدٍ) انتهىٰ

وقال أيضاً ـ بعد أن نقل عن ٱلإمام أحمد ٱبن حنبل رضي الله عنه : أن ٱلآيات ٱلمتشابهة خزائن مقفَلَةٌ حَلُّها تلاوتها ـ : (وما ينسب إلىٰ ٱلحنابلة من غير هٰذا مما يقتضي ٱلتَّشبيه وٱلجهة ٱلحسيَّة وٱلبينونية ٱلحسيَّة ؛ فإنما ذلك ٱعتقادٌ من جهلتهم وليسوا من أهل ٱلسنة في شيء[1] ؛ إذ لم ينقل ذلك عن ٱلصَّحابة رضي الله عنهم وذلك محال ولا عن

(١) تأكيداً لما قاله ٱلعلامة أبو بكر رحمه الله ونفعنا ٱلله به أحببتُ أن أوثِّق كلامه بكلام إمام من أئمة ٱلحنابلة ؛ وهو عالم ٱلحنابلة بالحجاز وٱلشام ٱلمحدث ٱلصالح ٱلشيخ عبد ٱلله ٱلقدومي ٱلنابلسي ٱلحنبلي ، ٱلذي نقل في كتابه عقيدةَ ٱلحنابلة ، فقال : بل يجب ٱلجزم بأنه تعالىٰ ليس حالاً في خلقه ، بل كان ولا مكان ، ثم خلق ٱلمكان ، وهو ٱلآن كما كان قبل خلق ٱلمكان ، لا =

ٱلتابعين ؛ لأن أهل ٱلسنة وٱلجماعة على ٱلتَّنزيه ٱلمطلق ٱلمحكم سمعاً وعقلاً) انتهى كلامه .

وقال بعض ٱلعلماء : إن ٱلإمام أحمد مبرَّءٌ عن هٰذه ٱلعقائد ٱلتي ٱنتحلها متأخِّروا مذهبه ، بل نقل بعضهم[1] : أنَّ ٱلقرافي[2] وغيَرهُ حكوا عن ٱلشافعي ومالك وأحمد وأبي حنيفة رضي الله عنهم ٱلقول بكفر ٱلقائلين بالجهة وٱلتَّجسيم ، ثم قال : وهم حقيقون بذلك . انتهى

= يُدرَكُ بالحواس ، ولا يقاس بالناس ، ولا مدخل لذاته وصفاته في ٱلقياس ، فهو ٱلغنيُّ عن كل شيء ، ولا يستغني عنه شيء ، ولا يشبهه شيء ، ثم قال : فمهما خطر بالبال أو توهمه ٱلخيال ؛ فهو بخلاف ذي ٱلإكرام وٱلجلال ، فلا نقول في ٱلتنزيه كقول ٱلمشبِّهة ، بل نثبت ولا نحرِّف ، ونَصِفُ ولا نُكيِّف . ينظر « ٱلمنهج ٱلأحمد في درء ٱلمثالب ٱلتي تنمىٰ لمذهب ٱلإمام أحمد » (ص ١١١) .

(١) ينظر « ٱلمنهاج ٱلقويم » لابن حجر ٱلهيتمي (ص ٢٢٤) .

(٢) « أنوار ٱلبروق في أنواء ٱلفروق » (١/ ٢٢٣) ، وهو لشهاب ٱلدين أحمد بن إدريس ٱلصنهاجي ٱلقَرافي ـ بفتح ٱلقاف مقبرة بمصر ـ توفي سنة (٦٨٤هـ) من علماء ٱلمالكية ، له مصنفات جليلة في ٱلفقه وٱلأصول ؛ منها : « ٱلإحكام في تمييز ٱلفتاوىٰ عن ٱلأحكام وتصرف ٱلقاضي وٱلإمام » ، و« ٱلذخيرة » في فقه ٱلمالكية ، و« ٱلأجوبة ٱلفاخرة في ٱلرد علىٰ ٱلأسئلة ٱلفاجرة » ، وغيرها . ينظر « ٱلأعلام » (١/ ٩٥) ، و« هدية ٱلعارفين » (١/ ٥٢) .

فلا تغترَّ يا أخي بما نُقل عن ٱلحنابلة مِنِ ٱعتقاد ٱلجهة وغيرها ممَّا مرَّ ، وإن كانوا أئمَّة مذهبه ، فالظن بهم وبأمثالهم إن صحَّ ذلك عنهم : أنَّ ذلك مبلغهم من ٱلعلم .

ومن ٱلمقرر عند ٱلأصوليين : أنَّه ليس كلُّ مجتهدٍ مصيباً في ٱلعقليات ، بل ٱلمصيب فيها واحد ، فإن ترقَّت عقيدتك عن ٱلتَّقليد في هـٰذه ٱلمسألة ؛ فقد ذكرنا لك أدلتها واضحةً لا ٱشتباه فيها ، وإن كانت عن محض ٱلتَّقليد ؛ فقلِّدِ ٱلأكثر وٱلجمهور من أئمة ٱلسَّلف ومَنْ تبعهم مِنَ ٱلخلف ، وكن مع ٱلحق حيث كان ، وفي ٱلحديث ٱلمرويِّ عن ٱلنبي صلى الله عليه وسلم : « عليكم بالسَّواد ٱلأعظم »[1] .

وأيضاً : فالقول بالجهة قد نقلنا لك فيما تقدم أنه دائر بين ٱلبدعة وٱلكفر .

وتأمَّل ما نُقل عن ٱلشيخ ٱلكبير ٱلإمام ٱلشَّهير أبي عثمان ٱلمغربي رحمه الله تعالى[2] أنه قال : كنت أعتقد شيئاً من حديث ٱلجهة ، فلما قدمت

---

(١) ذكره ٱلهيتمي في « مجمع ٱلزوائد » (٥ / ٢٦٢) ، وقال : رواه ٱلبزار وٱلطبراني ورجالهما ثقات .

(٢) سعيد بن سلام ٱلقيرواني ٱلبغدادي ثم ٱلنيسابوري ، أبو عثمان ، من ٱلكبار ، وله أحوال وكرامات ، صحب ٱبن ٱلكاتب ، وأبا عمرو ٱلزجاجي ، وكان أوحد عصره في ٱلورع وٱلزهد وٱلصبر علىٰ ٱلعزلة ، وقد مات بنيسابور =

بغداد ؛ زال عني ذلك ، فكتبت إلىٰ أصحابنا بمكة إني أسلمت إسلاماً جديداً[1] .

ذكر ذلك ٱلعلامة برهان ٱلدين إبراهيم بن حسن في « فتاويه »[2] ، ثم قال : فانظر حسن هٰذا ٱلاعتقاد منه مع عظيم فضله ، حيث أقرَّ علىٰ

= سنة (٣٧٣هـ) ، وأوصىٰ بأن يصلِّي عليه ٱبن فورك ، من كلامه : « من آثر صحبة ٱلأغنياء علىٰ مجالسة ٱلفقراء ؛ ٱبتلاه ٱلله بموت ٱلقلب » . ينظر « طبقات ٱلأولياء » (١ / ٤٠) ، و« ٱلرسالة ٱلقشيرية » (ص ١٢٣) .

(١) ينظر « طبقات ٱلشافعية ٱلكبرىٰ » (٩ / ٤٣) ، و« ٱلفتاوىٰ ٱلحديثية » (ص ٧٤) ، و« ٱلرسالة ٱلقشيرية » (ص ١٢٣) .

(٢) وقد نقل ذلك ٱلمذكور عن ٱلعلامة ٱلشيخ عبد ٱلكريم بن هوازن ، وعبارته في « رسالته » ٱلمشهورة : سمعت ٱلإمام أبا بكر بن فورك رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ يقول : سمعت أبا عثمان ٱلمغربي ، يقول : كنت أعتقد شيئاً من حديث ٱلجهة ، فلما قدمت بغداد ؛ زال ذلك عن قلبي ، فكتبت إلىٰ أصحابنا بمكة : إني أسلمت ٱلآن إسلاماً جديداً.

وقال فيها أيضاً : سمعت ٱلإمام أبا بكر محمد بن ٱلحسن بن فورك رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ ، يقول : سمعت محمد بن ٱلمحبوب ـ خادم أبي عثمان ٱلمغربي ـ يقول : قال لي أبو عثمان ٱلمغربي يوماً : يا محمد ؛ لو قال لك أحد : أين معبودك ؟ إيش تقول ؟ قال : قلت : أقول حيث لم يزل.

قال : فإن قال : أين كان في ٱلأزل ؟ إيش تقول ؟ قال : قلت : أقول حيث هو ٱلآن ؛ يعني : أنه كما كان ولا مكان فهو ٱلآن كما كان ، قال : فارتضىٰ =

نفسه أنه أسلم إسلاماً جديداً لمَّا هُدي للحق والصواب ، وهكذا دأبهم رضي الله عنهم ونفعنا بعلومهم في الدَّارين . انتهى



= مني ذلك ، ونزع قميصه وأعطانيه . انتهى من « الرسالة » [ص ٥١] ، و« شرحها » . كذا بخط المؤلف لوحة (٦/ب) .

فصل

[التسليم لأقوال العلماء الراسخين من أهل السنة والجماعة]

وعليك بالتَّسليم لأقوال ٱلعلماء ٱلرَّاسخين من أهل ٱلسنة وٱلجماعة، مع ٱلاقتداء بأعمالهم ٱلزَّكية ، وأقوالهم ٱلمرضية حسب ٱلاستطاعة ، ولا تُنكر علىٰ أحدٍ منهم ممَّن يجنح للتَّأويل ؛ فإنَّه لم يحملهم علىٰ ذلك إلا دفع ٱلشُّبَه ٱلتي ألزمهم بها مَن زاغ عن سواء السبيل ، علىٰ أنَّ تأويلهم للمتشابه من ٱلآيات ٱلقرآنية وٱلأحاديث ٱلنبوية موافق للقواعد ٱللغوية ، وغير مخالف للأساليب ٱلعربية ، فلا جرم أنهم أعلم منَّا بمعاني ٱلسنة وٱلكتاب ، وأبعد عمَّا يُوقِعُ في مسالك ٱلبدع وٱلارتياب ، فالحذرَ ٱلحذرَ من ٱلاعتراض علىٰ أحد منهم ، فالذي ينبغي لأمثالنا ٱلتَّسليمُ لهم وٱلكفُّ عنهم ، وإيَّاك أخي وٱلتَّعصبَ لأحدٍ في ٱلردِّ علىٰ ٱلبعض منهم ، بل كِلْ أمرَهم إلىٰ مَن يعلم ٱلسرَّ وٱلنَّجوىٰ منهم .

واعتَقِد أنهم ليس لهم غرض في ذلك إلا في إظهار ٱلحق ، ونصرة ٱلدِّين ، وإيضاح ٱلمسالك ؛ فإن ٱلتَّعصب مذموم ؛ لكونه من مداخل ٱلشيطان ٱلتي يحسِّنها للعبد ، ويدرجها في خصال ٱلأديان حتىٰ يقع مَن زُيِّنَ له ذلك في أعراض ٱلعلماء ٱلمهتدين ، ويندرج بسبب ذلك في زمرة ٱلمعتدين .

قال بعض ٱلأئمة : (ٱعلم يا أخي ـ وفَّقك ٱلله تعالىٰ وإيَّانا ، وهداك سبيل ٱلخير وهدانا ـ : أنَّ لحوم ٱلعلماء مسمومة ، وعادة ٱلله في هتك منتَقِصِهِم معلومة ، ومَن أطلق لسانه في ٱلعلماء بالثَّلب ؛ ٱبتلاه ٱلله قبل موته بموت ٱلقلب ، ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور : ٦٣]) انتهىٰ[١] .

هٰذه يا أخي نصيحة لك ، فإنَّ ٱلدِّين ٱلنَّصيحة ، مع أني لم أتعرَّض لنُصحك إلَّا بعد أنِ ٱستنصحتني ، فيتعيَّن عليك قبولها ، وفَّقنا ٱلله تعالىٰ وإيَّاك للعمل بما نقول ، إنَّه خير مسؤولٍ ، وأكرم مأمولٍ ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ٱلعلي ٱلعظيم .

وصلَّىٰ ٱلله علىٰ سيدنا محمَّد وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم ، كلَّما ذكره ٱلذَّاكرون ، وغفل عن ذكره ٱلغافلون .

قال مؤلفها : تمَّت ٱلرسالة سنة (١١٣٧هـ) ، قد نجز ٱلقلم بعون ٱلله باريء ٱلنسم ، ليلةَ ٱلأحد ٱلمبارك ٱلموافق لتاريخ تسعة من شهر جمادىٰ ٱلأوَّل عام ثمانية وثلاث مئة وألف من هجرة مَن به ٱلعِزُّ وٱلشَّرف ، عليه أتمُّ ٱلصَّلاة وٱلتَّسليم ، ومزيد ٱلنخبة وٱلتَّكريم ، علىٰ يدي ٱلعبد ٱلضَّعيف ٱلراجي عفو ربه ٱللطيف : عبد ٱلرحيم بن ٱلشيخ محمد صالح بن ٱلمرحوم سليمان بن ٱلمرحوم عبد ٱلستار بن ٱلمرحوم

(١) ينظر « ٱلتبيان في آداب حملة ٱلقرآن » (١/ ٢٩) .

عبد ٱلقادر ٱلكشّيّ ٱلميمنيّ ، أعاذنا ٱلله من جميع ٱلشرور وٱلفتن ، وسلّمها ٱلرَّبُّ ٱلمهيمن .

وقد نُقِلت من نسخة كان ٱلفراغ من كتابتها صبح يوم ٱلخميس في (١٣) من شهر ذي ٱلحجة سنة (١٢٣٨هـ) ، بقلم ٱلفقير ٱلحقير صاحب ٱلزلل وٱلتقصير ، ٱلراجي من ربه عفو ذنبه ٱلكبير ، خادم نعل أقدام ٱلعلماء ، سقاه ٱلله من حوض نبيه يوم ٱلعطش وٱلظمأ : إبراهيم بن يوسف بن أحمد بن سالم ، غفر ٱلله له ولوالديه ومشايخه وإخوانه ولمن دعا له بالمغفرة ، آمين آمين .



وإن تجد عيباً فسُدَّ ٱلخللاَ فجَلَّ مَن لا عيبَ فيه وعلا

[من الرّجز]

❁ ❁ ❁

فهرس الآيات القرآنية

الآية	السورة	الآية	رقم الآية
هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ	البقرة	٢١٠	٤١، ٧٢، ٧٥
هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ	آل عمران	٧	٤٢، ٤٤ ٦١، ٧٦
بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ	المائدة	٦٤	٧٤
وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ	الأنعام	١٨	٧٥، ٨٢
وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ	الأنعام	٩١	٦٠
ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ	الأعراف	٥٤	٥٢، ٧٢ ٧٥، ٨٢
يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ	النحل	٥٠	٤١
ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ	طه	٥	٦٨، ٤١ـ٧٥ ٧٣، ٧٠
وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ	طه	٣٩	٤١، ٧٥
وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى	طه	٤١	٧٥

❁ ❁ ❁

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

❁ ❁ ❁

فهرس المصادر والمراجع

- أبكار الأفكار - للآمدي - دار الكتب والوثائق القومية - القاهرة.
- إتحاف السادة المتقين - لمحمد مرتضى الزبيدي - دار الفكر - بيروت.
- الأسماء والصفات - للحافظ البيهقي - دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- إشارات المرام من عبارات الإمام - للبياضي - مصطفى الحلبي - القاهرة.
- الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد - للحافظ البيهقي - عالم الكتب - بيروت.
- إكمال المعلم شرح صحيح مسلم - للقاضي عياض - دار الوفاء - مصر.
- إيضاح الدليل - بدر الدين بن جماعة - دار السلام - مصر.
- إيضاح المكنون - مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الحنفي - دار الكتب العلمية - بيروت.
- تاريخ بغداد - للخطيب البغدادي - دار الكتب العلمية - بيروت.
- التبيان في آداب حملة القرآن - للنووي - الوكالة العامة - دمشق.
- تفسير أبي السعود - أبي السعود الحنفي - دار إحياء التراث العربي - بيروت.

- تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن.
- ٱلتفسير ٱلكبير- للرازي - دار ٱلفكر - بيروت.
- ٱلتوحيد - أبو منصور ٱلماتريدي - دار ٱلمشرق - بيروت.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن - محمد بن جرير أبو جعفر الطبري - دار الفكر - بيروت.
- ٱلجامع للأحكام ٱلقرآن - للقرطبي - دار ٱلفكر - بيروت.
- جمع ٱلوسائل في شرح ٱلشمائل - علي بن سلطان ٱلقاري - دار ٱلمعرفة - بيروت.
- حز ٱلغلاصم في إفحام ٱلمخاصم - لابن ٱلحاج ٱلقفطي - مؤسسة ٱلكتب ٱلثقافية - بيروت.
- ٱلدر ٱلمنثور - جلال ٱلدين ٱلسيوطي - دار ٱلفكر - بيروت.
- دفع شبه ٱلتشبيه بأكف ٱلتنزيه - ٱبن ٱلجوزي - دار ٱلإمام ٱلنووي - عمان.
- دفع شبه من شبه وتمرد - للحصني - ٱلمكتبة ٱلأزهرية للتراث - مصر.
- ٱلرسالة ٱلقشيرية - أبي ٱلقاسم عبد ٱلكريم بن هوازن ٱلقشيري - دار قباء - دمشق.
- رفع ٱلغاشية في ٱلحقيقة وٱلمجاز وحديث ٱلجارية - نضال آله رشي - دمشق.
- ٱلشذرة في ٱلأحاديث ٱلمشتهرة - لابن طولون - دار ٱلكتب ٱلعلمية - بيروت.

- شرح ٱلأربعين - أحمد حجازي ٱلفشني - مطبعة مصر.
- شرح ٱلرسالة ٱلقشيرية - أبي ٱلقاسم ٱلقشيري - جامع ٱلدرويشية - دمشق.
- شرح صحيح مسلم - ٱلنووي - مكتبة ٱلغزالي - دمشق.
- شرح ٱلعقيدة ٱلطحاوية - أكمل ٱلدين ٱلبابرتي - مؤسسة ٱلكتب ٱلثقافية - بيروت.
- صحيح ٱلبخاري - ٱلإمام ٱلبخاري - دار ٱلسلام - ٱلرياض.
- صحيح مسلم - ٱلإمام مسلم - تحقيق فؤاد عبد ٱلباقي - دار إحياء ٱلتراث ٱلعربي - بيروت.
- ٱلضوء ٱللامع - ٱلسخاوي - دار مكتبة ٱلحياة - بيروت.
- طبقات ٱلشافعية ٱلكبرىٰ - تاج ٱلدين ٱلسبكي - دار هجر لنشر وٱلطباعة.
- طبقات ٱلفقهاء - كبري زاده - مخطوط.
- فتح ٱلباري - ٱبن حجر ٱلعسقلاني - مكتبة ٱلغزالي - دمشق.
- القول التمام في إثبات التفويض مذهباً للسلف الكرام - سيف بن علي العصري - دار الفتح - عمان.
- كتاب ٱلزهد - هناد بن ٱلسري - دار ٱلخلفاء للكتاب ٱلإسلامي - ٱلكويت.
- كتاب ٱلعظمة - عبد ٱلله بن محمد - دار ٱلعاصمة - ٱلرياض.
- مجمع ٱلزوائد - ٱبن حجر ٱلهيثمي - دار ٱلفكر - بيروت.

- مدارج ٱلسالكين - ٱبن قيم ٱلجوزية - دار ٱلكتاب ٱلعربي - بيروت.

- ٱلمسامرة شرح ٱلمسايرة - للكمال ٱبن ٱلهمام - دار ٱلبيروتي - دمشق.

- معالم ٱلتنزيل - للبغوي - دار طيبة لنشر.

- ٱلمعجم ٱلأوسط - ٱلطبراني - دار ٱلحديث - ٱلقاهرة.

- ٱلمعجم ٱلكبير - ٱلطبراني - مكتبة ٱلعلوم وٱلحكم - ٱلموصل.

- معجم ٱلمؤلفين - عمر رضا كحالة - دار ٱلرسالة - بيروت.

- ٱلمقاصد ٱلحسنة في بيان كثير من ٱلأحاديث ٱلمشتهرة - ٱلسخاوي - دار ٱلكتب ٱلعلمية - بيروت.

- منح ٱلروض ٱلأزهر في شرح ٱلفقه ٱلأكبر - ملا علي ٱلقاري - دار ٱلبشائر ٱلإسلامية - بيروت.

- المنخول - محمد بن محمد الغزالي - دار الفكر - دمشق.

- ٱلمنهاج ٱلقويم - ٱبن حجر - إحياء ٱلتراث ٱلعربي.

- ٱلمنهج ٱلأحمد في درء ٱلمثالب ٱلتي تنمىٰ لمذهب ٱلإمام أحمد - عبد ٱلله قدومي - دار ٱلكتب ٱلعلمية - بيروت.

- هدية ٱلعارفين - ٱلباباني - دار إحياء ٱلتراث ٱلعربي - بيروت.

۞ ۞ ۞

فهرس موضوعات الكتاب

الكتب التي صدرت للمحقق :

- إعانة الحقير في شرح زاد الفقر - للشيخ التمرتاشي .

- الإتحاف بمصطلحات الأحناف - جمع عمر شيخلي .

- الأنوار الإلهية شرح المقدمة السنوسية - للشيخ عبد الغني النابلسي .

- الجواب الشريف للحضرة الشريفة في أن مذهب أبي يوسف ومحمد هو مذهب أبي حنيفة .

- القول الأزهر فيما يفتىٰ بقول زفر - للشيخ إبراهيم بن بيري زاده .

- اللطائف الأنسية شرح نظم العقيدة السنوسية - للشيخ عبد الغني النابلسي .

- نثر اللآلي علىٰ نظم بدء الأمالي - للسيد عبد الحميد الآلوسي .

❁ ❁ ❁